تاريخ مصر الفرعونية
أثناء العصر المتأخر

من الأسرة الحادية والعشرين وحتى الأسرة الثلاثين

تأليف

د. حسام أحمد المسيري



مقدمة

يتناول هذا الكتاب فترة زمنية من تاريخ مصر الفرعونية أثناء العصر المتأخر بداية من الأسر الحادية والعشرين وحتى الأسرة الثلاثين.

تطورت المواقف التاريخية عندما طمع رجال الدين في الاستحواذ على السلطة السياسية خلال الأسرة الحادية والعشرين ثم انهارت تلك الأسرة لتدخل مصر مرحلة جديدة من تاريخها وهو عصر الانتقال الثالث الذي يبدأ بالأسرة الثانية والعشرون ، وشهد عصر الانتقال الثالث تدهور الموقف السياسي والعسكري ، وتمكنت العناصر النوبية والليبية والأشورية والفارسية من احتلال مصر ، ولكن رغم ذلك فقد تمكن الإنسان المصري القديم في التسلح بالصمت وهو نوع من الفلسفة بل نوع من الحرب ذات الفاعلية الإيجابية على المدى الطويل إلى أن تمكن من استعادة الانطلاقة المصرية السياسية والحضارية خلال عصر الأسرة السادسة والعشرين التي تعرف باسم عصر النهضة والعصر الصاوي ، وخلال بعض الثورات المصرية الهامة أثناء الاحتلال الفارسي لمصر إلى أن انتهى العصر الفرعوني بدخول الإسكندر المقدوني مصر خلال الجزء الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد أي في عام ٣٣٢ ق.م ، وبذلك دخلت مصر مرحلة جديدة من مراحل حياتها السياسية الطويلة بعد أن فتحها الإسكندر المقدوني ، وبذلك ينتهي عصر تاريخ مصر الفرعونية ليبدأ عصر تاريخ مصر في العصر اليوناني الروماني .

وأرجو أن أكون قد وفقت في الإسهام ولو بقدر بسيط في مجال تاريخ مصر الفرعونية .



الفصل الأول

الأسرة الحادية والعشرون

١٠٨٧ق.م_ ٩٤٥ق.م



الأسرة الحادية والعشرين

١٠٨٧ق.م _ ٩٤٥ق.م

ذكرت المصادر أن الفترة الزمنية الممتدة ما بين ١٠٨٧ ق.م وحتى ٩٤٥ ق.م شهدت عصر الأسرة الحادية والعشرين والتي شهدت ملوك حكموا في تانيس في الوجه البحري والكهنة العظام الذين كانوا يسيطرون على مصر العليا متخذين من مدينة طيبة مركزاً لحكمهم ، وسنتناول أولا أسماء الكهنة العظام .

الكهنة العظام

١- حريحور

اغتصب حريحور مركز الفرعون رعمسيس الحادي عشر أخر ملوك الأسرة العشرون الذي حكم خلال الفترة من ١١١٤ ق.م وحتى ١٠٨٧ ق.م وكذلك اغتصب ألقابه شيئا فشيئا .

وكان حريحور طاعن في السن عند توليه العرش في طيبة ، ومن الملاحظ أن مانيتون لم يذكر حريحور ضمن ملوك الأسرة الحادية والعشرون ، وعلى ذلك فأن سلطانه لم يكن معترفا به إلا في أقليم الوجه القبلي أي من أسوان وحتى أسيوط ، ويقال أنه كان يوجد فرعون يسمى سمنديس متخذ من تانيس بالوجه البحري مقراً لحكمه .

ولكن توجد نقوش لحريحور على تـــابوتي ســـيتي الأول ورعمســـيس ، وتزوج حريحور من نزمت الذي وجد أسمها بمعبد خونسو على الجـــدار الأيسر للقاعة الموجودة قبل المحراب ، وكذلك وجد أسمها في لوحة ليدن ولقد صورت هي وزوجها والكثير من أولادها ، وكذلك وجد لها تابوتان في خبيئة الدير البحري .

وكان لحريحور ونزمت أولاد كثيرة فذكرت بعض المصـــادر أن لهمـــا ثمانية عشر ذكراً وتسع إناثاً ، وأكبر الذكور يسمى بيعنخي ويحمل العديد من الألقاب منها ابن الملك من جسده ومدير البيت العظيم لأمون وكـــاهن الآلهة موت .

٢- بعنخى

بعد وفاة حريحور تولى أبنه بيعنخى وظيفة الكاهن الأكبر لأمـــون ، ولم يحافظ أولاد حريحور على تاج الملك ، ويبدو أن سمنديس الذي كان يحكم في تانيس استطاع أن يفرض سيطرته على الـــبلاد جميعهـــا كمـــا سنرى فيما بعد . ولم يحمل بيعنخى لقب ملك مثل والده ، واستطاع ملوك تانيس من فرض سلطانهم وسيادتهم حتى بلاد النوبة ، واســـتطاعوا فـــي حالات كثيرة طرد كهنة أمون وتعيين فرد من أسرتهم ولكن ذلك لا يلبث سوى فترة قصيرة ، ولقد فضل ملوك تانيس في أحوال كثيرة أن يملأ هذا المنصب بأحد أعضاء أسرة حريحور الذين كان لهم حق وراثته .

كانت العادات والشعائر الدينية جعلت من الضروري وجود الملـــك والكاهن معا جنبا لجنب وكانت واجبات الكهنة العظام في طيبة معقـــدة ، وكان لابد من مراعاة كل التفاصيل الدقيقة التي تملأ حياة النـــاس الـــذين

وهبوا حياتهم لإنجازها والقيام بأداء الأعمال . فقد كان عليهم أن يؤدوا شعائر يومية كثيرة موزعة على أوقات مختلفة على مدار اليوم . فكان الكاهن الأعظم يستيقظ في ساعة معينة كل صباح وله أوقات لتناول الطعام وعمل رياضته ، والمقابلات ومباشرة الأمور الدنيوية ، فكان عليه أيضا ملاحظة كهنة أمون فكانت كل هذه الأمور لابد أن تتم بدقة متناهية فلذلك كان يصعب على الملوك في تانيس من تأدية تلك الأعمال المعقدة خاصة كان يشغلهم الكثير من الأمور الدنيوية الخاصة بالملك وخاصة الإدارة الداخلية والتجارة والعدالة وشئون الحرب إلى آخره وكانت مثل هذه الأمور تتطلب وقتا كبيرا ولذلك اقتضت الأمور بقاء الكهنة العظام في طيبة بجانب ملوكهم فراعنة تانيس .

امتلك الكهنة العظام الكثير من الثروات ، وكانوا يتمتعون بسلطان شاسع يمتد حتى بلاد النوبة وكذلك في كل مقاطعات مصر حيث كانت الأغلبية العظمى ميولهم الدينية مع الإله أمون ، ولذلك فأن الملك سمنديس أول ملوك الأسرة الحادية والعشرين لم يواجه حريحور عندما استولى على وظيفة الكاهن الأعظم وأعلن نفسه فرعونا بل أظهر له الولاء .

وكما ذكرنا من قبل لم يرث بيعنخى والده في الملك بل اكتفى بلقب الكاهن الأكبر ، ومن آثاره لوحة عثر عليها في العرابة المدفونة ولقب فيها بالكاتب والقائد وحامل المروحة وأمير كوش ورئيس الأراضي الجنوبية والكاهن الأكبر لأمون ورئيس الرماة ورئيس الغلال ، ويظهر بيعنخى في هذه اللوحة جالسا على كرسيه وفي يده اليمنى زهرة يشمها وتوجد زهرة أخرى على رأسه ، وتوجد أمامه مائدة عليها قربان وأزهار وأمام وجهه نقشت الألقاب السالف ذكرها ويعلوه في الجزء المستدير من اللوحة شكل قارب الشمس بمجداف واحد في مؤخرة القارب وهو بمثابة الدفة وفي

منتصف القارب توجد مقصورة بداخلها إله الشمس ولـــوحظ أن مقدمـــة القارب مرتفعة وفي نهايتها زهرة البردي وكذلك مؤخرة القـــارب وهـــي منخفضة .

وجاء ذكر بيعنخى في معبد خونسو بوصفه رئيس كهنة أمون ملك الآلهة وكذلك ذكر في معبد الأقصر في صالة التماثيل بوصـــفه الكـــاهن الأول لأمون ، وكذلك نجد اسم بيعنخى على آثار أبنه الأكبر بينوزم ، وكـــذلك وجد اسم بيعنخى على كفن رعمسيس الثالث مما يدل على أنه قد أصلحه وكذلك وجد اسم بيعنخى على تمثال من البازلت في خبيئة الكرنك باســـم بينوزم ابن بيعنخى .

ويبلغ عدد أولاد بيعنخى أربعة ثلاث ذكور وأبنه واحدة وأكبرهم يســـمى بينوزم الذي تولى رئاسة الكهانة ثم عرش الملك فيما بعد .

٣- بينوزم

خلف بينوزم والده بيعنخى وحمل لقب الكاهن لأمون فـــي طيبـــة ، ووثق علاقته بالبيت الحاكم في تانيس عن طريق زواجه من ابنة الملـــك بسوسنس الأول وتسمى ماعت كارع ، وبهذا الزواج ربط صداقة مشتركة بين طيبة وتانيس وقد ذكر هذا النسب في نقشان في ردهة التماثيل فـــي معبد الأقصر ، وتذكر بعض المصادر بان بينوزم كـــان متـــزوج مـــن زوجتين وهما ماعت كارع ابنة الملك بسوسنس الأول التي تم ذكرها من قبل والأخرى حنت تاوى وهي ابنة رجل من عامة الشعب ، ولقد اكتشفت كل من موميات الزوجتين ، وأصبح بينوزم ملكا على البلاد بعـــد مـــوت بسوسنس الأول إذ أنه يجمع ما بين السلطة الدينية في الـــبلاد والســـلطة الإدارية .

من أهم أعمال بينوزم هو إصلاحه في مدينة هابو ومعبد الكرنك وأتم الكثير من الأعمال الناقصة في معبد خونسو ولقد ذكر ذلك في النقوش الموجودة في معبد مدينة هابو وفي معبد الكرنك وأيضا في معبد خونسو حيث تمجد بينوزم .

وقام بينوزم بإصلاح ما لحق بالموميات الملكية من تنكيل وتهشيم نتيجة المحاولات الإجرامية التي قام بها اللصوص في العصور القديمة لنهب القبور وسرقة محتوياتها حيث أنها تحتوى على آثار نفيسة ، وقد حاول الكهنة العظام التصدي لتلك الجرائم ولكن اللصوص لم يخشوا بأس أحد إذ كانوا يقتحمون المقابر وينهبون كل محتوياتها وما معها من نفائس بعد تنكيلهم لموميات ملوكهم ، مما دعت الحاجة إلى تكفينهم بأكفان جديدة وتم وضعهم في توابيت جديدة غير التوابيت الأصلية التي سرقت أو هشمت وسميت تلك العملية على الأكفان والتوابيت باسم تجديد دفن الملوك ، وكان كل ملك يعمل هذا العمل الصالح يذكر ما يفعله على الكفن أو على التابوت الجديد الذي يتم صنعه .
ومثل هذه الأعمال هي التي سهلت لنا معرفة ترتيب الملوك والكهنة العظام في الأسرة الحادية والعشرين إلى أن تم وضع تلك الموميات في خبيئة الدير البحري والتي كشف عنها في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي .
انجب بينوزم من زوجته ماعت كارع ابنة الملك بسوسنس الأول ولدين هما ماسا هرتا ومن خبر رع ، وقد عين أولهما رئيسا للكهنة ولما توفى تبعه شقيقه في رئاسة الكهنة ثم خلف والده على العرش .

٤- ماسا هرتا

تولى ماسا هرتا وظيفة الكاهن الأكبر لأمون ، ويذكر برستد أن ماسا هرتا قد مات قبل السنة الخامسة والعشرين من حكم والده بينوزم ، وعند هذا التاريخ عين منخبر رع الكاهن الأكبر ، وذكر دارسي أن بينوزم قد مهد لأبنه الأكبر أن يكون ملكا من بعده ولكنه توفى وحل محله أخوه منخبر رع كاهنا ، ومعنى الاسم ماسا هرتا مشتق من أصل سامي أو أفريقي ومعناه ابن الإله الوحيد ، وعثر على تابوت ومومية ماسا هرتا في خبيئة الدير البحري .

ووصل إلينا نقوش تذكر اسمه من خلال بعض الأعمال منها نقش اسمه على تمثال ضخم من الجرانيت للإله خونسو برأس صقر محفوظ الآن في بروكسل ، وله نقش آخر في لوحة الكرنك .

ووجدت ألقابه على تابوته التي كان يحملها الكاهن الأكبر لأمون منها الكاهن الأعظم لأمون رع ملك الآلهة والقائد الأعلى للجيوش في الوجهين القبلي والبحري ، كما لقب بأوزير السيد العظيم لمصر والكاهن الأول لأمون رع ملك الآلهة ، وتولى وظيفة الكاهن الأكبر حيث أن والده بينوزم على عرش الملك فترك له تلك الوظيفة كما فعل من قبله حريحور مع ابنه بيعنخى وبذلك شغل ماساهرتا الرجل الثاني في طيبة ولقد توفى في عهد أبيه .

ولقد وصلت إلينا بعض البرديات وهى على شكل رسائل والتي تؤكد أن ماساهرتا قد آلم به مرض خطير ومات متأثراً به .

تزوج ماساهرتا من تايو حرت والتي عثر لها على تابوتين وحملت ألقاب على تابوتها منها أوزير ربة البيت ومغنية أمون رع ملك الآلهة .

٥- منخبر رع

بعد وفاة ماساهرتا تولى أخوه منخبر رع وظيفة الكاهن الأكبر لأمون كبير الآلهة ثم أصبح هذا الكاهن بعد وفاة والده بينوزم ملك على البلاد ، ووصل إلينا الكثير من الآثار التي ترجع إلى عصره سواء بوصفه كاهن أكبر أو في أثناء جلوسه على عرش الملك باسم الملك بسوسنس الثاني .

تزوج منخبر رع من زوجته استمخب والذي وجد لها تابوتان في خبيئة الدير البحري وذكر ألقابها عليهما ، وانجب منخبر رع من زوجته ولدين وهما الكاهن الأكبر بينوزم والذي لقب بينوزم الثاني ونسبا نبدد (سمنديس) والذي تزوج من أخته حنت تاوى الثانية .

من أهم ما وصل إلينا عن الكاهن الأكبر والملك منخبر رع في لوحة مونيه وتلك اللوحة محفوظة في متحف اللوفر بفرنسا ، وهذه اللوحة من الجرانيت الأسود وهى تشير إلى عهد هذا الكاهن وتذكر لنا وصول منخبر رع إلى طيبة حيث أن والده أرسله لإعادة النظام والقضاء على الثورة والتي يرجع سبب تلك الثورة إلى موت ماساهرتا ، وربما أن بينوزم أراد أن يستغني عن منصب الكاهن الكبر عندما توفى ماساهرتا غير أن أهل طيبة أجبروه على إرسال كاهن أكبر إليهم بدلا منه وكان هذا هو أبنه الأصغر منخبر رع ، واستطاع منخبر رع القضاء على الثورة وإعادة الأمور إلى نصابها .

قام منخبر رع بإصلاحات واسعة النطاق منها إصلاحات في معبد الأقصر وهو النقش الذي وجد على الجدار الخارجي للسور الخاص بقاعة الأعمدة وهو " إصلاح الأثر الذي عمله الكاهن الأكبر لأمون رع ملك الآلهة منخبر رع المنتصر ابن سيد الأرضيين محبوب أمون بينوزم في بيت والده أمون بالأقصر "

ومن إصلاحاته أيضا أنه أعاد بناء بعض الجدران الخارجية لمعبد الكرنك حيث عثر على نقوش للكاهن الأكبر منخبر رع على عمود من الجرانيت ملقى في معبد الدولة الوسطى بالكرنك .

ولقد عثر على لوحة من الحجر الرملي بالكرنك وهى محفوظة الآن بالمتحف المصري والتي ذكر فيها إصلاحات منخبر رع قام بها في معبد الكرنك ، ولقد لقب منخبر رع في هذه اللوحة بعدة ألقاب منها الكاهن الأكبر لأمون رع ملك الآلهة والمشرف الأعظم على الجيش ورئيس الجنود وبن الملك رب الأرضيين .

كذلك عثر على نقش يذكر فيه منخبر رع على صخور جزيرة بالقرب من أسوان جاء عليه اسمه ولقبه الكاهن الأكبر لأمون منخبر رع بن الملك بينوزم محبوب أمون ، ولوحظ من هذا النقش أن نفوذ هذا الكاهن وأمثاله من طبقة الكهنة العظام يمتد حتى الشلال الأول .
ويذكر مسبرو عن هذا الكاهن أنه أعاد بناء جزء من جدار معبد الكرنك ومعبد الأقصر ومعبد الجبلين ومعبد الحيبة وأيضا أقام تحصينات بالحيبة وهى قريبة من بنى سويف .

٦- بينوزم الثاني

بينوزم الثاني الكاهن الأكبر هو الابن الأصغر للكاهن منخبر رع وزوجته استمخب ، وقد خلف أخاه الأكبر سمنديس في وظيفة الكاهن الأكبر ، ويرى برستد أن بينوزم الثاني أصبح كاهن أكبر لأمون في عهد الفرعون أمنمأبت الذي كان يحكم في تانيس ، وقد عثر على تابوت بينوزم الثاني الكاهن الأعظم لأمون ملك الآلهة والرئيس الأعظم للجيوش والمقدم ، ولقد وصف سميث مومية بينوزم الثاني حيث كانت ملفوفة مثل مومية كل من ماعت كارع وحنت تاوى في نسيج من الكتان الشفاف الجميل بكميات عظيمة وكانت له حواف وهدابات ملونة وعلى صدره بقايا من سيرين من الجلد الأحمر كما وضع بينها عدة طبقات من عجينه رتنجية ، ولوحظ عند الوجه تجمد كثير من الراتنج المطحون ولصق بالجلد ولازالت المومية محتفظة بلحية كثيفة بيضاء ، وقد وضعت اليدان في وضع عمودي على الجانبين ، كما لوحظ أن الذراعين قد حشيتا بالطين ويبلغ ارتفاع المومية ١,٧١م تقريبا .

وعثر مع مومية بينوزم الثاني بردية يبلغ طولها ٢,٢٨م وعرضها ٢,٣٥م تحتوى على عدة مراسيم أصدرها أمون موضوعة على صدر المومية ، وكذلك عثر على نسخة من كتاب الموتى ملفوفا بين الساقين ويعد مرسوم بينوزم الثاني من أهم المراسيم التي وصلت إلينا من خبيئة الدير البحري لأن الذي أصدره هو الإله أمون لصالح أعضاء أسرة الكهنة العظام في عهد الأسرة الحادية والعشرين .

كان بينوزم الثاني متزوج من زوجتين أختين له الواحدة بعد الأخرى وهما نسخونسو بنت سمنديس الأخ الأكبر لبينوزم الثاني والثانية استمخب الثانية وقد ماتت نسخونسو في السنة الخامسة من عهد الفرعون ثم تزوج الثانية وتدعى استمخب الثانية ، وقد أنجب بينوزم الثاني من نسخونسو أربعة أطفال أكبرهم بسوسنس الذي اصبح فيما بعد الكاهن الأكبر لأمون وقد عثر على تابوتين في خبيئة الدير البحري للزوجة الأولى وهى نسخونسو وكتب عليهما أوزير رئيسة كبار الحظيات الأولى لأمون ملك الآلهة وكبيرة بيت خونسو في طيبة نفر حتب وكاهنة أمون رب تاورت وكاهنة الآلهة نخبت البيضاء وكاهنة أوزير وحور ابن إيزيس في العرابة وكاهنة حتحور سيدة قوص والأم المقدسة لخونسو الابن الأكبر لأمون رع ملك الآلهة .

٧- بسوسنس الثالث

هو ابن بينوزم الثاني وآخر كاهن أكبر لأمون معاصراً لأسرة ملوك تانيس في عهد الأسرة الحادية والعشرين ، وهذا الكاهن لم يكن معروفا قبل الكشف على موميات كهنة أمون رع في خبيئة الدير البحري الثانية عام ١٨٩١م .

ولقد عثر على تأشيرات باسم بسوسنس التي كانت تدون على نسيج المعبد الذي كان يستعمل لفائف لموميات كهنة أمون الذين تم العثور عليهم عام ١٨٩١م .

وهناك نقش باللون الأحمر بالهيراطيقية بحروف كبيرة في معبد بتاح في العرابة المدفونة ، وهذا النفش يوضح أن بسوسنس كاهن أعظم وملكا في وقت واحد ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، وكذلك عثر على تمثال من حجر البر وفير لبسوسنس الثالث في خبيئة الدير البحري وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري ، وكان بسوسنس الثالث قد اغتصب هذا التمثال من تحتمس الثالث والذي نجد لقبه منقوشا على حلقة حزام التمثال .

على الرغم من أن كهنة أمون العظام كانوا أصحاب السلطان في مصر العليا وملوك تانيس كانوا أصحاب النفوذ والقوة في الدلتا ، فكان ملوك تانيس هم الفراعنة الحقيقيين في البلاد كلها وأنهم كانوا يعينون الكاهن الأكبر في معظم الأحيان من بين أفراد أسرتهم وأن الكاهن الأكبر نفسه كان يحكم البلاد كلها أحيانا إذ آل إليه العرش بالوراثة ولكن بعد أن يولى كاهنا أكبر من نسله في مكانه ، وسوف نتناول الآن الحديث عن ملوك تانيس .

فراعنة الأسرة الحادية والعشرون

يبلغ عدد فراعنة الأسرة الحادية والعشرون سبعة طبقا لمانيتون وقد حكموا لمدة تبلغ بنحو مائة واثنتان وأربعون سنة ، ولكن الآثار التي تم العثور عليها لم يظهر عليها إلا خمسة فراعنة ويعتقد جوتيه إن الملك السادس وهو بسوسنس الثالث يحتمل أنه نفس الكاهن الأكبر بسوسنس بن بينوزم الثاني الذي تم ذكره من قبل .

الفرعون سمنديس

أول ذكر لهذا الفرعون جاء في قصة ونأمون ، والأحداث التي حدثت في هذه الوثيقة كانت في السنة الخامسة من عهد النهضة التي حدثت في عهد رعمسيس الحادي عشر أي في السنة الرابعة والعشرين من عهد هذا الفرعون ، وذكر حريحور في هذه الوثيقة بوصفه كاهنا أعظم لأمون مرتين ، ومن خلال سياق الكلام أن سمنديس صاحب تانيس لم يكن ملكا بعد والظاهر أنه لم يعتل العرش إلا بعد أن تخلى حريحور عن ملك تانيس واقتصر على طيبة . وكان سمنديس في بداية الأمر وزير ثم اعتلى العرش ليكون ملكا ومما يدل على ذلك اسمه المصري نسبا نبدد خادم كبش منديس .

كان كبش منديس عقد محالفة مفيدة مع كبش أمون (كان أمون يمثل على الآثار بصورة كبش رابض على هيئة أبى الهول) وحين أصبح حريحور الكاهن الأكبر لأمون نسب ألقابه الملكية إلى هذا الإله ، ولما تولى سمنديس عرش الملك فعل بالمثل ففي العهد الذي قام فيه ونأمون بسياحته في سوريا كان سمنديس وزيراً وقد رزق من زوجته نتسأمون أبنه اسماها حنت تاوى وأصبحت فيما بعد تلقب بالمتعبدة للآلهة حتحور ثم زوجة ملكية وأمها نتسأمون بنت رجل يدعى نبسنى وقد وجد تابوته في خبيئة الدير البحري . وأصبحت حنت تاوى كاهنة أمون الأولى وزوجة بينوزم الأول ورزقت منه بولد وعرف باسم بسوسنس الأول ، ودونت نقوشهما على مجوهرات وجدت على مومية بسوسنس . واستولى سمنديس على الألقاب الملكية وهو مؤسس الأسرة الحادية والعشرين في تانيس .

والمستند الوحيد من عهد سمنديس نقش على عمود في محجر الجبلين مهشم في معظمه وفي هذا النقش يروى كيف أن سمنديس جلس في قصره في وهو يفكر في عمل شئ يشير إلى تقواه حتى يناله التمجيد وأنه حين ينهى إليه الأمر بأن المباني الذي شيدها تحتمس الثالث في الأقصر أغرقه الفيضان فأرسل الفرعون موظفيه ومعهم ثلاثة آلاف رجل لمحجر الجبلين للحصول على الأحجار لإصلاح التلف الذي حدث في مباني تحتمس الثالث بالكرنك ، ويبدو أن هذه الأعمال قد أنجزت بنجاح فلذلك نقشوا هذا المرسوم الذي يخلد ذكرى سمنديس بتلك الأعمال المجيدة ، ومن خلال سياق النقش يدل على أن الملك كان حاضراً في هذه المحاجر ، وكما لوحظ من هذا النقش أن مركز الحكم لسمنديس هو طيبة ، ويبدو أنه كان ملك على مصر كلها ، كما يبدو أن حريحور قد مات قبل نهاية سمنديس .

الفرعون بسوسنس الأول

ثاني ملوك الأسرة الحادية والعشرين الذين حكموا البلاد ، ولقد تم اكتشاف مقبرته سليمة والذي وقع له حادث أليم مثل الذي أصاب الفرعون توت عنخ أمون .

كان بسوسنس متزوج من زوجتين وهما من أبناء سمنديس الأولى تسمى استمخب والثانية تسمى المتعبدة لحتحور حنت تاوى وكانت تلقب بالبنت والزوجة والأم الملكية والأم المتعبدة الإلهية لأمون وكاهنة الآلهة موت وأم الإله خونسو ، وكانت هذه الألقاب تدل على تعبد هذه الزوجة الفريد لثالوث طيبة وهو أمون وزوجه وابنه ، ولوحظ أن الملك بسوسنس

كان يحكم صعيد البلاد وريفها جميعا وكانت ألقابه تدل على ذلك فلقب بالثور الشجاع منحة أمون والثري الذي يظهر في طيبة ، وكان له نشاط بارز في تانيس حيث أصلح جدار مقر الملك الذي كان قد أحدث فيه المحاصرون ثغوراً كثيرة خلال الحروب الأخيرة ، وفي نفس المدينة أقام جدارين ليكونا بمثابة حاجز يصد أية غارة يقوم بها الأنجاس وحلفاؤهم على المعبد ومساكنه وجبانته ، وبدأ في إقامة المعبد كما يدل على ذلك ودائع الأساس التي عثر على جزء منها ماريت وعثر على جزء آخر مونتيه .

وقام بسوسنس بتشييد قبر له في تانيس حيث أقام القبر على الرمل على مسافة بضعة أمتار من المسلة الأولى للمعبد ، ويتألف القبر من مبنى منخفض مربع الشكل تقريبا أقيم الجزء الشرقي منه من الحجر الجيري والغربي من الجرانيت ولم تقطع أحجاره من المحاجر لأن العمال امتنعوا عن قطع الأحجار من المحاجر المشهورة منذ أن قاموا بالإضرابات واشتركوا مع أهالي أواريس وجماعات الأجانب في نبش مقابر الملوك وتخريبها في أواخر عهد الأسرة العشرين وبسبب ذلك أقيم هذا القبر من أنقاض المباني المهدمة من مدينة بررعمسيس وأواريس .

ويذكر مونتيه أن الملك بسوسنس قد اشترك معه في أواخر حكمه ملك يدعى نفر كارع حقا واست ملك طيبة ابن الشمس أمنمسوت (أمون ملك) وقد نقش اسمين هذين الملكين معا على منزعتين من الذهب .

مقبرة الملك بسوسنس الأول

اكتشفت المقابر الملكية الخاصة بفراعنة الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين في عام ١٩٣٩ م ، وقد عثر على هذه المقابر في جبانة تانيس ، ويعد ذلك تطوراً في تاريخ البلاد السياسي والديني فقد ظل ملوك الأسرات السابقة يدفنون في وادي الملوك حتى نهاية عصر الأسرة العشرين ثم استمر من بعدهم رؤساء كهنة أمون الذين استقلوا بالملك في الوجه القبلي يدفنون في طيبة الغربية خلال الأسرة الحادية والعشرين في حين كان فراعنة مصر يدفنون في مدينة تانيس التي اتخذها سمنديس ومن بعده من ملوك هذه الأسرة مقراً لملكهم .

كما دلت الاكتشافات الحديثة على ذلك ، ولعل السبب يرجع إلى أن تانيس أصبحت العاصمة السياسية للبلاد وكانت تتمتع بشهرة عظيمة من الوجهة الدينية ، بالإضافة إلى أن الفقر الذي عم بين الناس مما أدى إلى نهب مقابر الملوك وعظماء القوم حيث كانت محتوياتها تضم الذهب وآثار ذات قيمة حتى أن كهنة أمون لم يكن في مقدورهم حماية هذه المقابر من عبث اللصوص ، فنقلوا موميات هؤلاء الفراعنة إلى أماكن مجهولة .

وكان من أهم المقابر التي تم الكشف عنها هي مقبرة الفرعون بسوسنس الأول وتقع هذه المقبرة وغيرها من المقابر التي تم الكشف عنها حديثا داخل أسوار المعبد العظيم الذي أقامه في الأصل رعمسيس الثاني ، وكانت أول مقبرة تم الكشف عنها هي مقبرة الملك أوسركون الثاني أحد ملوك الأسرة الثانية والعشرين ، ولوحظ أن سقف مقبرة أوسركون كان ممتداً من جهة الشمال بواسطة كتل من الحجر الضخم تغطى سقف مقبرة أخرى وبعد التنظيف اكتشفت مقبرة الملك بسوسنس الأول ، واكتشف في داخل المقبرة تابوت من الجرانيت الوردي وعلى غطاءه نحتت صورة للفرعون بسوسنس مضطجعا على ظهره قابضا بيديه على صولجان

الملك وسوط أوزير وخلفه آلهة صغيرة راكعة ، وعلى صدر الملك مضخة من الذهب ، وبداخل التابوت كانت مومية بسوسنس الأول وعليها قناع من الذهب ثم صفيحة رقيقة من الذهب المنقوش كانت تغطى جميع الجسم ، وتغطى جدران هذه المقبرة نقوش وصور آلهة وكذلك احتوت المقبرة على العديد من الأثاث الجنائزي .

الفرعون أمنمأبت

جاء ذكر هذا الفرعون على إحدى لفائف موميات كهنة أمون وعثر له على خاتم من الفخار كتب عليه الكاهن الأكبر لأمون ملك الآلهة أمنمأبت محبوب أمون وقد لوحظ أن التاريخ مهشم وهذا هو الأثر الوحيد الذي تم العثور عليه في الآثار يذكر أمنمأبت فرعون المستقبل بوصفه مجرد كاهن أكبر لأمون .

وتم الكشف عن مقبرة أمنمأبت في الشمال الغربي من مقبرة بسوسنس وهي في الأصل حجرة صغيرة مقامة من الحجر الجيري مغطاة بقطع من نفس الحجر ولم تكن مزخرفة ولقد وجدت هذه المقبرة منهوبة إذ دخل اللصوص من السقف ونهب محتويات المقبرة ، وعثر في داخل المقبرة على تابوت من الحجر الرملي يغطيه قطعة من حجر الجرانيت مأخوذة من جبانة يرجع عهدها للدولة القديمة والسبب الذي يدل على ذلك أنها كانت مزخرفة بصورة الإله أنوبيس ونقوش هيروغليفية كانت من صنع هذا العصر ونقش على التابوت أدعية للملك أمنمأبت وفي داخل التابوت وجدت بقايا عظام القدمين وخمسة ألواح كانت قد استعملت لتثبيت تابوت من الخشب .

ووجدت في المسافات الخالية بين ألواح الحجر نحو ثلاثين جنائزيا ، وهذه كانت تؤلف جزءاً من مجموعة وضع الجزء الأكبر منها في القائمة الأمامية من مقبرة الفرعون بسوسنس وكانت هذه التماثيل الصغيرة قبيحة المنظر وظلت على أفخاذها أثر كتابة باللون السود يدل على اسم هذا الملك أوزير الملك أمنمأبت محبوب أمون ، ويمكن القول بأن الملك أمنمأبت كان في هذه المقبرة ولكن نقل فيما بعد تابوته الخشبي المذهب ومحتوياته وسائر أثاثه الجنائزي إلى مقبرة الملكة موت نزم وقد عثر مع تابوت أمنمأبت الكثير من الحلي من صدريات والكثير من الجعارين والأساور والتماثيل الجنائزية والأسلحة والصولجانات والكثير من الأواني ، ومن آثار هذا الملك أنه وجد اسمه على لفافة مومية لأحد كهنة أمون في خبيئة الدير البحري وكتب عليها ملك الوجه القبلي والبحري رب الأرضيين أمنمأبت محبوب أمون لفافة عملها الكاهن الأكبر بينوزم بن منخبرع لربه أمون في السنة ، ولم تذكر السنة حيث أن السنة قد مزقت وتدل الشواهد على أنه ينسب للملك أمنمأبت .

الفرعون سيأمون

ذكره المؤرخون القدامى وحرفوا اسمه فذكر سنسل أن خامس ملوك الأسرة الحادية والعشرين كان يدعى سيتيس في حين أن القوائم الأخرى تذكره باسم أوسوكور على حسب ما جاء في مانيتون وهذا الاسم الأخير يذكرنا بالفرعون أوسركون أحد ملوك السرة الثانية والعشرين ويمكن أن اسم سيتيس يمكن تقريبه من اسم سيأمون الذي جاء على الآثار .

ويذكر المؤرخ سنسل أن هذا الفرعون حكم لمدة خمس عشرة عاما في حين حكم ست سنوات على حسب ما جاء في مانيتون ، في حين يرى بتري أن هذا الفرعون حكم لمدة ست وعشرين عاما ، أما الآثار فتدل على أن أكبر مدة حكمها هي سبع عشرة عاما وذلك على حسب ما جاء في نص من تواريخ كهنة أمون بالكرنك في نقش حفر في جبل العرابة .

خلف الملك أمنمأبت على عرش الملك في تانيس الملك سيأمون محبوب أمون وترك آثار كثيرة في تانيس في معبد عنتا أعاد بناء البوابة والجدار وفي المعبد الكبير أتم إصلاح المحراب الذي بدأ إصلاحه الفرعون بسوسنس وقد سلك مسلك خلفه في استعمال الأحجار القديمة التي كانت مستخدمة في مباني أواريس وبررعمسيس فأخذ منهما المسلات والنقوش الغائرة من الجرانيت واللوحات والتماثيل ، ولكن عندما تم البناء بدا كما لو كان مثل الثوب الذي رقع ، ولكن بعض تماثيل الدولة الوسطى التي أخطأتها يد التخريب في الحروب الأهلية وكذلك تماثيل رعمسيس الثاني الضخمة التي نجت من التخريب أضيفت على المعبد شيئا من العظمة مما جعله يحتل المرتبة الأولى بين معابد مصر السفلي ، وربما دفن سيأمون في تانيس مثل باقي أفراد أسرته بالقرب من آبائه ، وهذا ولم يعثر على مقبرته حتى الآن ، غير أنه عثر في جنوب المعبد الكبير على أحجار كثيرة هامة تدل على أنها كانت من ضمن أحجار قصره أو ضمن أحجار معبده الجنائزي فقد وجد له تمثال من الجرانيت نقش عليه اسم أوزير سيأمون كما وجد نقش مثل فيه هذا الفرعون يقضى على عدو بمقمعته ، وعثر في تانيس على تمثال من البرونز لهذا الفرعون في صورة أبو الهول عليه اسم هذا الفرعون وهو محفوظ الآن بمتحف باريس ، وكذلك عثر في تانيس على قاعدة عمود مدون عليها اسمه ، وكذلك

عثر على لوحات صغيرة من الخزف المطلي ومن البرونز ومن الذهب عليها اسم هذا الفرعون .

الفرعون حور بسوسنس الثاني

ذكر هذا الفرعون على الآثار باسم حور باسب خعنوت وسماه جوتيه باسم بسوسنس الثاني ، لم يذكره دارسي في بحثه الذي كتبه عن الملوك الذين تسموا بهذا الاسم ، ولقد ذكره بتري في تاريخه عن مصر . وقد وجد اسم هذا الفرعون على تمثال النيل محفوظ الآن بالمتحف البريطاني ، ومن هذا النقش الذي وجد على هذا التمثال نلاحظ أن زوجة أوسركون الأول ثاني ملوك الأسرة الثانية والعشرين كانت بنت الملك حورباسب خعنوت ، وهذا الملك يجب أن يوضع في نهاية أسرة تانيس أي الأسرة الحادية والعشرين ، ولقد عثر لجران على تمثال في خبيئة الدير البحري تؤكد تلك الحقائق التي جاءت على تمثال النيل .

لقد ذكرنا اسم ماعت كارع الثانية بنت الملك حورباسب خعنوت (حور بسوسنس الثاني) على تمثال النيل ، ويجب إلا أن نخلط بين هذه الأميرة وماعت كارع الأولى التي وجد اسمها منقوشا على معبد خونسو وعلى الورقة الجنائزية المحفوظة بالمتحف المصري حيث كانت ماعت كارع الأولى بنت باسب خعنوت الأول وكانت الزوجة الإلهية لأمون بطيبة في عهد تولى بينوزم الأول رئاسة كهنة أمون ، وقد تزوجت الأميرة ماعت كارع الثانية بالملك أوسركون الأول ثاني ملوك الأسرة الثانية والعشرين وقد أنجبا سيشنق مرى أمون الذي أصبح فيما بعد الكاهن الأكبر لأمون كما جاء على تمثال عثر عليه لجران في خبيئة الدير البحري .

بسوسنس الثالث باسبخعنوت

اقترح الأثري دارسي وضع هذا الفرعون والكاهن الأكبر في أول الأسرة بين اسم الملك حريحور بيعنخى ، ولكن يجب أن يوضع هذا الفرعون في أواخر الأسرة ، ويذكر أن بتري قد وحد هذا الفرعون بالكاهن الأكبر بسوسنس ابن بينوزم الثاني .

وقد حكم هذا الفرعون أربع عشرة عاما على حسب ما جاء في مانيتون ، واقترح دارسي أن مدة حكم هذا الفرعون مدة أطول عكس ما ذكره مانيتون ، وذكر أفريكانوس أن هذا الفرعون حكم لمدة ثلاثين عاما ، وكما ذكر يوزيب أن هذا الفرعون حكم لمدة خمسة وثلاثين عاما .

الفصل الثاني

الحكم الليبي في مصر

الأسرة الثانية والعشرون

دخلت مصر مرحلة جديدة من تاريخها وذلك بعد انهيار الأسرة الحادية والعشرين امتدت تلك الفترة من النصف الثاني للقرن العاشر قبل الميلاد وحتى نهاية التاريخ الفرعوني ويطلق على هذه الفترة مرحلة العصور المتأخرة نظراً لوقوعها في نهاية التاريخ الفرعوني من الناحية الزمنية .

وبعد انهيار الأسرة الحادية والعشرون يبدأ بعدها عصر الأسرة الثانية والعشرين وكانوا حكامها من أصل ليبي وذلك من خلال أسماء أجدادها فضلا عن أسماء ملوكها أمثال شيشنق وأوسركون وغيرهم ، ولم يكن هؤلاء غرباء عن مصر ولم يفتحوا البلاد عنوة ، وإنما هم كانوا من قبائل مختلطة من أهل الصحراء الغربية الأقدمين ومن فئات شعوب البحر الذين نزلوا سواحل ليبيا منذ أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ولم يتمكنوا من دخول مصر بالقوة فلجئوا إلى الوسائل السلمية فدخلوا مصر كتجار أو رعاة أو جنود مرتزقة في الجيش واستقرت قبائلهم منذ أواخر عهد رعمسيس الثالث على حدود مصر وحول الحصون المنتشرة على الحدود الغربية ثم ما لبثوا أن تمصروا وعبدوا الآلهة المصرية ودخلت جماعات منهم في الحاميات المصرية حيث منحت لهم بعض الأراضي الزراعية كمرتبات لهم مقابل خدمتهم بالجيش المصري .

وحمل رؤساؤهم ألقابا جمعت ما بين الاسم المصري والاسم الليبي وذلك مثل لقب ور مس وهو يجمع ما بين الكلمة المصرية ور بمعنى عظيم وبين كلمة مس الليبية التي تعنى ملك ، كما حملوا لقب رئيس ما

الكبير وذلك اختصار اللقب رئيس المشاوش الكبير ، ولم ينس لهم المصريون أصلهم الأجنبي بسهولة فاحتفظوا لهم باسم المشاوش واسم الليبيين حيث تركزت أغلب جماعاتهم صوب الفيوم وباسم الأجانب .

استمرت مدة حكمهم أكثر من قرنين فنسوا فيها أصلهم الأجنبي ولم يتذكروا إلا أنهم فراعنة مصريون ، ولقد حاربوا باسم مصر خارج حدودها ، وحاولوا جهدهم استعادة بعضا من هيبة مصر وسمعتها في الخارج ، وكانت عاصمة مصر في عهد هذه الأسرة في الشمال إما بوبسطة أو تانيس ، وكان كبار الكهنة في طيبة يمارسون سلطانا دينيا لا ينازع ، وفي أواخر تلك الأسرة تفرقت وحدة البلاد بسبب تنافس الأمراء الليبيين على الحكم .

فراعنة الأسرة الثانية والعشرون

أطلق مانيتون على فراعنة الأسرة الثانية العشرون ملوك بوبسطة في حين كان المؤرخون اليونانيون يطلقون عليهم فراعنة تانيس ، ومن الصعب معرفة أين كانت تقع عاصمة الملك في عهد الأسرة الثانية والعشرون إلا أن الكشوف الأثرية الحديثة أثبتت أن مقابر هؤلاء الملوك كانت تقع في تانيس (صان الحجر) ومما لاشك فيه أننا عثرنا على آثار لهؤلاء الملوك في جميع البلاد ، بالإضافة إلى أن الجزء الأعظم من تلك الآثار عثر عليه في الوجه البحري مما يدل على أن نفوذهم كان في شمال البلاد أعظم منه في جنوبها .

ومن خلال الاكتشافات الأثرية التي قام بها كل من ليجران ودارسي أصبح في مقدورنا أن نميز عصرين ظاهرين في تاريخ الأسرة الثانية والعشرين حيث نجد أولا من بداية حكم شيشنق الأول حتى حكم أوسركون الثاني كانت سلسلة الفراعنة متصلة ، وكانت مصر في هذه الفترة مملكة موحدة فكان الوجه البحري والوجه القبلي موحدين توحيداً قوياً تحت صولجان واحد ونلاحظ منذ حكم الفرعون أوسركون الثاني أخذ أمراء الدلتا ينسبون لنفسهم صفات الملك وألقابه وساعد على ذلك ضعف الحكومة المركزية مما أدى في نهاية المر إلى تأليف نوع من الإقطاع في الدلتا ، وكان معظم الأمراء يعترفون في بادئ الأمر بسيادة أوسركون الثاني عليهم .

ولوحظ منذ عهد أوسركون الثاني أخذت السلطة في البلاد تنقسم إلى قسمين كما هو الحال في عهد الأسرة الحادية والعشرين عندما كان الكهنة

العظام مستقلين بمقاليد الحكم في طيبة من الجهة الدينية والإدارية في حين كان ملك مصر في تانيس يسيطر على الوجه البحري فقط ، وإن كان في الظاهر ملكا لمصر على شمالها وجنوبها وظل هذا الانقسام حتى الاحتلال الأثيوبي . وكان أول ملوك الأسرة الثانية والعشرون هو الملك شيشنق الأول .

الفرعون شيشنق الأول

مؤسس الأسرة الثانية والعشرين ويعد أهم شخصية في الأسرة ، ويذكر مانيتون أن حكم شيشنق استمر لمدة إحدى وعشرين عاما وكان شيشنق الرئيس العظيم للمشوش وأمير أهناسيا نسمع عنه لأول مرة في لوحة التي دون عليها حور باسن تاريخ أحد عجول أبيس عن تاريخ أسرة شيشنق ورسوخ قدمها في مصر منذ زمن طويل .

ويبدو أن حكم شيشنق كان معاصراً بضع سنين لحكم آخر فراعنة تانيس ، وقد مات أبوه نمرود فدفنه ثم حدث اعتداء على قبره فذهب شيشنق إلى الملك في تانيس شاكيا فأهتم بالأمر وسافر بنفسه إلى قبر والده وأمر بإرسال تمثالا باسم والد شيشنق يوضع في معبد أوزير في أبيدوس .

وأن هذا الحدث يوضح لنا أمرين هامين أولهما قوة بعض العائلات من أصل ليبي ومحاذرة الملك وكبير الكهنة من إغضابهم ، أما الأمر الثاني فيوضح أن هؤلاء الليبيين كانوا قد تمصروا واعتنقوا الديانة المصرية واستطاع شيشنق في أن يبسط نفوذه في أواخر عهد أخر ملك

في تانيس حتى مدينة بوبسطة ، وعثر في أثناء الحفائر التي قامت في تلك المنطقة على قاعدة تمثال كتب عليها الرئيس العظيم لقوم مى شيشنق وهذا الأثر يدل على أنه قد عمل قبل تولى هذا العاهل ملك مصر وهذا الفرعون لم يعتل عرش الملك إلا بعد موت الملك بسوسنس آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين وذلك لأن شيشنق قد تزوج من أبنه الملك بسوسنس ، وأنجب من زوجته أربعة أولاد منهم ثلاث ذكور وبنت واحدة فقط ، ويبدو أن شيشنق لم يقم بثورة للاستيلاء على الحكم بل انتظر حتى وفاة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين واستولى على العرش في تانيس ، وعلى ذلك قامت أسرة جديدة تربعت على عرش الملك متخذة من بوبسطة بشرق الدلتا عاصمة لها .

أما في طيبة عاصمة الملك الدينية فتدل الأمور على أن شيشنق لم يمتد سلطانه على الوجه القبلي وطيبة كما حدث في شمال البلاد ، فلم يكن في مقدور كهنة أمون تجاهل تولى شيشنق عرش الملك الذي أعلن في كل إنحاء البلاد ، ولم يعترفوا في بادئ الأمر بلقب الملك كما يدل على ذلك نقش وجد على قطعة حجر بالكرنـك نقـش على أحـد وجهيهـا التاريـخ التالي السنـة الثانيـة من عهـد الرئيـس العظيـم لقـوم مى شيشنق وعلى الوجه الآخر نجـد نقشـا مؤرخـا بالسنـة الثالثـة عشـرة من عهـد الملك شيشنق محبـوب أمون .

تولى شيشنق ملكا على البلاد وتنصيب ابنه أوبوت كاهنا أكبر على طيبة جعل كهنة أمون يتركون البلاد ويلجئون إلى أقليم نباتا في أعالي بلاد النوبة وهى قريبة من الشلال الرابع ، ومن هؤلاء الكهنة كان أصل

ملوك أثيوبيا الذين فتحوا البلاد المصرية وأسسوا فيها الأسرة الخامسة والعشرين كما سنرى فيما بعد .

ولا شك في أن كهنة أمون كانوا مسيطرون على شئون الوجه القبلي خلال عصر الأسرة الحادية والعشرون وكانوا يعدون بمثابة ملوك على هذا الجزء من البلاد ، وأقد أثر يدل على تولى أوبوت وظيفة الكاهن الكبر في طيبة من قبل والده شيشنق يرجع إلى السنة الخامسة من عهد هذا الفرعون فقد عثر باسمه واسم والده على لفافة من نسيج الكتان مهداه إلى الكاهن الثاني زد بتاحف عنخ الذي كان يلقب ابن الملك لرعمسيس ، وكذلك وجدت لفائف أخرى مؤرخة بالسنة العاشرة و الحادية عشرة .

شيد شيشنق العديد من المباني كان معظمها في الدلتا فأقام معبداً في تانيس ، وكذلك ترك آثاراً مهمة في معبد الكرنك حيث أقام أثراً بارزاً يسترعى الأنظار بعظمته على غرار ما أقامه الملوك العظام في عهد الدولة الحديثة ، فأقام بوابة النصر التي تقع بين معبد رعمسيس الثالث الصغير الذي أقامه للإله أمون رع ، والبوابة الثانية التي كانت واجهة معبد الكرنك العظيم وتؤلف بوابة شيشنق جزءاً من امتداد الجدار الجنوبي لقاعة العمد العظيمة ، وقد غطيت هذه البوابة نقوش تاريخية لرعمسيس الثاني وهذه البوابة تدعى عادة بوابة بوبسطة ونقش عليها سجلات أسرة بوبسطة في طيبة ، ونقش عليها مناظر النصر التي خلدت غزوة شيشنق على فلسطين كما نقش عليها تواريخ الكهنة العظام أبناء هذه الأسرة .

عثر على لوحة السلسلة – في محاجر السلسلة الواقعة بين إدفو وأسوان – وبها متن وترك لنا فيها رئيس البعثة الذي أرسله شيشنق لقطع

أحجار البوابة المعروفة ببوابة بوبسطة ذكر عليها أعماله والغرض منها وهذا المبعوث يسمى حور مساف ، ونجد أن الفرعون شيشنق هو الذي فكر في هذا الآمر ، ولوحظ من خلال هذا النقش أن ابن الملك الكاهن الأكبر لأمون الذي يسمى أوبوت قد أتخذ مكانة بارزة في منظر اللوحة ونقوشها تعادل مكانة الفرعون نفسه ومن ألقابه الكثيرة لوحظ أن ابنه كان يتمتع بسلطان كأنه حاكم شبه مستقل في الوجه القبلي .

في عهد شيشنق قام بحملة إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الملك وكل شئ وسجل هذا الانتصار على بوابة بوبسطة ويمثل هذا النقش عادة ذبح الأسرى أمام أمون ، وقد جاء ذكر غزو مصر لفلسطين على يد شيشنق في الكتاب المقدس في مناسبتين في هذا الكتاب ، ومن الغريب أن اسم أورشليم هي البلدة الوحيدة التي ذكر اسمها في التوراة عند الحديث لغزو شيشنق لفلسطين ، ولم يدون اسمها في قائمة الكرنك وربما تكون هذه الأسماء مفقودة من القائمة .

كانت حملة شيشنق على فلسطين لها نتائج جيدة من حيث انتشار النفوذ المصري في تلك البلاد الآسيوية ، كما أنها زادت في خزائن مصر حيث نعلم أن أورشليم كانت من أغنى البلاد في هذا العهد .

ومن خلال الأدلة الأثرية نلاحظ عودة العلاقات الودية مع أمراء جبيل والتي توقفت في عهد الأسرة الحادية والعشرين ، ونلاحظ ذلك من خلال إهداء شيشنق تمثالا جالسا له إلى معبد سيدة جبيل .

وترك لنا شيشنق الأول عدة آثار هامة في جميع أنحاء البلاد منها لوحة الكرنك التي عثر عليها لجران عام ١٩٠٣م وكذلك لوحة الداخلة

وعثر على هذه اللوحة ليونز في الواحة الداخلة عام ١٨٩٤م وكذلك اللوحة الخاصة بالضرائب الدينية والتي وجدت في أهناسيا في عام ١٩٠٧م وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري ، وكذلك السجلات التي دونها شيشنق الأول على لفائف الكاهن الثاني لأمون المسمى زد بتاحف عنخ الملقب بابن الملك رعمسيس .

الفرعون أوسركون الأول

خلف شيشنق الأول على عرش البلاد ابنه أوسركون الأول ، وكان والده قد زوجه من ابنة بسوسنس أخر ملك في تانيس ، وقد أنجب من زوجته أربعة أولاد ذكور .

أهم أثر وصلنا من نقوشه ما خلفه على جدران معبد صغير وهو معبد أتوم في تل بسطة ، وللأسف وجد هذا النقش مهشما ويرجع في الأصل هذا المعبد إلى حكم رعمسيس الثاني والذي قام بالكشف عن ذلك المعبد هو نافيل ونسب كشفه إلى ما جاء في كتاب هيرودوت .

وقام نافيل بحفائر أسفرت عن الكشف عن الكثير من الأحجار اتضح أنها بقايا معبد صغير أقل من معبد الإلهة باست ، وكان على هذه الأحجار اسم أوسركون الأول وهو بلا شك الفرعون الذي وسع مباني المعبد القديم إذ لم يكن قد أقامه كله من جديد ، ولم يتمكن نافيل من الكشف عن كل المعبد .

وحمل أوسركون الأول مثل والده العديد من الألقاب منها الذي أجلسه أتوم على العرش عظيم القوة الذي أخضع لأقواس التسعة ، الحاكم الذي قهر كل الأراضي ، ومنح أوسركون الأول في سنوات حكمه الأولى الكثير من الهبات الذهبية والأواني الفضية للمعبودات الرئيسية في مصر.

ومن الآثار التي عثر عليها وتخص الملك أوسركون الأول بعض المباني في معبد أتوم في بوبسطة بالدلتا ، وأقام في منف هيكلا للإلهة باست ، أما في طيبة في مصر العليا فقد عثر الأثري كارتر في وادي مقابر الملوك على مقبرة عام ١٩٠١م بها ثلاث توابيت من الخشب وفي كل منها مومية سليمة كاملة ، وقد وجد في واحدة منها حمالتان من الجلد الأحمر وختم آخر كل منهما بمنظر ديني نشاهد فيه على اليمين الإله أمون رع واقفا في هيئة الإله مين رافعا ذراعه وفي يده السوط وأمامه الملك أوسركون الأول ، والنقش الذي يتبع هذا المنظر هو الإله الطيب سخم خبر رع ستبن رع ابن رع أوسركون مرى أمون محبوب أمون رع رب السماء معطى الحياة .

ومن المحتمل أن هذه الموميات كان لها صلة بعهد هذا الفرعون وبخاصة أن واحدة منها تحمل اسم كارع مع مغنية أمون وأن الملك أمر بعمل أكفانها .

وكذلك من أعماله في مصر العليا أكمل معبد والده في الحيبة ، كما أقام هذا الفرعون بلدة صغيرة عند مدخل الفيوم بالقرب من اللاهون الحالية كما يدل على ذلك ما جاء في لوحة بيعنخى التي تركها لنا وهي

التي تتحدث عن فتحه لمصر ، وكذلك أضاف بعض المباني في معبد إيزيس في أطفيح .

الفرعون تلكوت الأول

خلف تلكوت الأول والده أوسركون الأول على العرش نظراً لوفاة أخيه شيشنق الثاني قبل والده بقليل .
عثر على لوحة من الحجر الجيري عليها اسم هذا الفرعون محبوب أمون تلكوت ، وقد ذكر هذا الفرعون على لوحة حور باسن .
كما يذكر بتري إن معبد أوزير بالكرنك بنى معظمه في عهد اشتراك هذا الملك مع ابنه أوسركون وقد ظهرت معهما ابنته شبنابت بوصفها وارثة للملك ، وقد تزوج الملك تلكوت الأول من زوجته كابس وقد جاء ذكرها في لوحة حور باسن بوصفها أم الملك أوسركون الثاني ، وكذلك ذكرت في النقوش التي كشف عنها حديثا في مقبرة أوسركون الثاني ، وقد انجب تلكوت الأول من زوجته ابن يسمى أوسركون الثاني .

الفرعون أوسركون الثاني

خلف أوسركون الثاني والده تلكوت الأول على العرش ، وكان من أهم ملوك الأسرة الثانية والعشرين . وكان يلقب أحيانا بلقب ابن الآلهة باست وبخاصة في معبد تل بسطة أهم مركز لعبادة الآلهة باست في مصر وهذا اللقب يميزه عن الملوك الذين يسمون باسمه من بعده .

وقد تزوج من ثلاث زوجات الأولى الملكة كارعمع التي تلقب مغنية بيت أمون والابنة الملكية كارعمع ، والزوجة الثانية كانت تسمى استمخب ووجد لهذه السيدة أربع أواني للأحشاء محفوظة الآن بمتحف فينا وعليها نقوش توضح أن استمخب كانت زوجة الملك أوسركون الثاني وله منها أبنه تسمى تس برو باستت ، أما الزوجة الثالثة فكانت تسمى موت حز عنخس ، وقد جاء ذكرها في لوحة حور باسن بوصفها زوجة الفرعون أوسركون الثاني .

وبلغ عدد الأولاد الذكور لأوسركون الثاني حوالي أربعة وهم حور نخت الذي كان يلقب الكاهن الأكبر لأمون ، وشيشنق ، ونيملوت والذي سوف يصبح كبير كهنة أمون ، وتلكوت .

وبلغ عدد الإناث لأوسركون الثاني حوالي أربعة وهم الأميرة تاشع خبر وهي أبنه الملكة كارعمع زوجة الملك أوسركون الثاني الشرعية ، والأميرة كارع معت وتحمل نفس اسم والدتها ، والأميرة تسبا ستت برو وهذه الأميرة أبنه زوجته استمخب ، وأما الابنة الرابعة فقد وجدت في نفس المنظر الذي رسم في قاعة المعبد غير أن اسمها قد محي .

وتدل الآثار الباقية على أن أوسركون الثاني قد اتخذ رعمسيس الثاني نموذجا له وكان يريد أن يقلده بقدر المستطاع بل كان يريد أن يفوقه وذلك باغتصاب آثاره كأنه أراد أن ينتقم للملوك الذين اغتصب رعمسيس الثاني آثارهم ، ولذلك نقش اسمه على آثار كثيرة من آثار بررعمسيس وظهر هذا الاغتصاب واضحاً في معبد تل بسطة .

ومن أهم ما نلاحظه في تاريخ هذا المعبد في عهد أوسركون الثاني هو تعظيم عبادة الآلهة باست وإبرازها هنا بوصفها المعبودة السائدة عبادتها في تلك البقعة ، ومن ذلك التاريخ نجد اسم الآلهة منقوشا بحروف كبيرة في هذا المعبد ولم يقتصر ذلك على التماثيل واللوحات بل على عقود قاعة المعبد والعمد ، وكان غرض الملك من ذلك محو اسم الإله ست ، ولقد أمر بنزع اسمه حيثما وجد ، غير أن العمل لم ينجز بدقة بل أنجز بإهمال واضح ، فنجد مثلا أن الإله ست كان ممثلا على قمة العمد جالسا ومعه علامة الحياة والصولجان في يديه ، ففي كثير من الأحيان نجد أن رأس الحيوان الدال على الإله ست قد غير برأس أسد ، وكذلك لباس رأس هذا الإله تغير وأصبحت الصورة الجديدة تدل على الإله ماحس ابن الآلهة باست وهو الذي كان يصور صورة أسد وهو إله حربي ، ولذلك بقيت كل الصفات التي كانت منقوشة مع الإله ست كما هي وأصبحت تطلق على الإله ماحس العظيم القوة إله السماء ، وهذا المحو والتغيير ظاهر في نقوش الإله ست الذي كان يعبده رعمسيس الثاني حيث نجد آثاراً لمحوه لا يزال ظاهراً .

وتوجد الكثير من النقوش لأوسركون الثاني من معبد بوبسطة حيث وجدنا على أحد العمد أن أوسركون الثاني قد ذكر بوصفه متعبداً للإله ماحس وهو ابن الآلهة باست .

كان يوجد مبنى هام في تلك البقعة حيث عثر بالقرب منها على قطعة أساس عليها نقش بالحجم الطبيعي وهي مصنوعة بإتقان شديد ، وعلى أحد جوانبها يظهر أوسركون الثاني وهو يقدم العين المقدسة للآلهة باست التي أنجبته وذلك لتمنحه كل الأراضي التي ستضاعف عددها وكل الشجاعة مثلما فعلت لرع ، وقد لقبت الآلهة باست هنا بالكاهنة رئيسة

الأسرار للإله أتوم ، وعلى الجانب الآخر يوجد ابن باست وهو الإله حور حيكون قد مثل مقدما الحياة للملك أوسركون الثاني .

من أهم آثار أوسركون الثاني في تل بسطة والوجه البحري خلال مدة حكمه كان في بوبسطة ومدينة الآلهة باست العظيمة هي التي سميت فيما بعد بوبسطة وكان موقعها بالنسبة لعصره ذات ميزة عظيمة إذا كانت تقع على فرعى النيل أي الفرع البيلوزي والفرع التانيسى ، وقد توالت على هذه المدينة عدة أحداث كما كان الشأن في تانيس ولا تزال توجد حتى الآن آثار للمعبد الذي أقامه الفرعون خوفو ومن بعده بيبي وغيرهما من ملوك الدولة القديمة والوسطى .

وقد ترك لنا فيها الهكسوس بعض آثارهم ومن بعدهم أقام رعمسيس الثاني في هذه المدينة مباني ضخمة ، ولكن الحروب الداخلية قد خربت بوبسطة كما هدمت تانيس ، غير أن ملوك السرة الحادية والعشرين أعادوا بناء تانيس من نفس أنقاضها ولم يلتفتوا إلى المدينة بوبسطة ، ولم يترك شيشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين آثار بها .

ولكن أهم مبنى في هذه المدينة يرجع الفضل في إقامته للفرعون أوسركون الثاني ، وكذلك اغتصب مباني رعمسيس الثاني في كل من بوبسطة وتانيس هذا بجانب ما أخذه لنفسه من تماثيل ملوك الدولة الوسطى حيث نجد نقش اسمه على رأس تمثال جالس لإمنمحات الثالث كما نقش اسمه على جزء من تمثال مصنوع من الجرانيت جالس على العرش وربما ينتسب لإمنمحات الثالث وذلك بعد أن محا اسم صاحبه الأصلي .

من آثار أوسركون الثاني في الوجه القبلي فلقد وجد اسمه على الكثير من آثار الكرنك فجاء ذكر اسمه على نقوش مرسى الكرنك عن ارتفاع النيل ، وكذلك عثر لجران في خبيئة الدير البحري على عدة تماثيل لكهنة وغيرهم من عصره نقشوا اسم هذا الفرعون ، وكذلك عثر أملينو في العرابة على آنيتين من المرمر نقش على كل منهما اسم هذا الملك .

وأحتفل الملك أوسركون الثاني في عام حكمه الثاني والعشرين بعيد سبد حيث أصدر مرسوما أعفى بمقتضاه حريم معبد أمون رع من الضرائب ومن كل أنواع الخدمة ، وكذلك المعابد الأخرى في طيبة ويشير ذلك إلى استقلال طيبة ، وأختار أوسركون الثاني لمنصب كبير كهنة أمون ابن عمه شيشنق الثاني الذي كان يسمى حارسيس ولم يعين أبنه وهو الأمر الذي كانت له آثاره البعيدة في انقسام الأسرة والدولة فيما بعد ، ولقد عمل حارسيس على اتخاذ مظاهر الملكية مع أوسركون الثاني فانتحل لنفسه الألقاب الملكية غير أنه بوفاته انتهز أوسركون الثاني الفرصة وعين ولده نيملوت كبيراً لكهنة أمون .

الفرعون شيشنق الثاني

كان مشتركاً مع والده أوسركون في الحكم ، ويقال أنه حكم بمفرده لمدة قصيرة .

ولقد تم الكشف عن تابوت الملك شيشنق الثاني ، وكان هذا التابوت مصنوع من الفضة له رأس صقر ، وهو سليم لم يمس بأي سوء ، ولقد

صنع هذا التابوت بمهارة فائقة وخاصة في زخرفة غطاء هذا التابوت وهو على صورة آدمي برأس صقر ، وضفيرتا الشعر المستعار اللتان تحليان رأسه قد استعمل المفتن في صياغتهما الطرق ، ومنقار الصقر مستعار وأحاط المفتن العينين بثلاث دوائر ، وخطط الشعر المستعار بخطوط متوازية ، ووضع بين الضفيرتين أسماط عقد من الخرز ، أما اليدان فتقبضان على زخمه وصولجان ، ويوجد جعران بعد ضفائر الشعر يحيط بثلاث صفوف من الحلية التي على صورة أزهار كما يوجد طائر براس كبش ناشراً جناحيه على كل عرض الغطاء وعند ذيل الطائر يوجد نقش معبراً عن تمنيات الملك المتوفى .

وفي المسافة الموجودة على يمين ويسار هذا النقش يوجد سطران من الكتابة والصور تواجه كل واحدة منهما الأخرى ، ففي أعلى نجد الإلهة إيزيس على اليمين ونفتيس على اليسار تحييان بجناحيهما اسم الملك ، وفي أسفل الإلهين أمست وحابي يواجهان زميليهما دواموتف وكبح سنوف وعند القدمين حيث يرتفع الغطاء وتوجد الإلهتين نيت وسلكت قاعدة كل منهما على العلامة الدالة على الذهب ويشيران بإشارة تدل على النداء .
وقد وجدت مومية شيشنق ملفوفة كلها في كفن من الكتان ثبت عليه ورقة من الذهب المنقوش والمحلى بشرائط زرقاء .

وجد لشيشنق عقد واحد مؤلف من ست وثلاثين خرزة من الذهب ، وكذلك وجد له صدرية يحلى وسطها جعران من الحجر الرمادي اللون وعلى ظهره نقش متن من الفصل الثلاثين من كتاب الموتى ويسطع في كورنيش هذه الصدرية قرص الشمس المجنح . وكذلك وجد في التابوت

جعارين وأساور وخاتمان وحزام من الذهب وأسلحة من الذهب ووجد معه أيضا وسادة من الحديد .

الفرعون حرسا إيس

تولى في بداية الأمر كاهنا أكبر لأمون رع لأمون في طيبة ، ثم اشترك فيما بعد مع الملك أوسركون الثاني في حكم البلاد ، ويحتمل أن حرسا إيس أصبح ملكا في طيبة عندما أعلن أوسركون الثاني أنه ترك إقليمها نهائيا للإله أمون أو للكاهن الأكبر لأمون ، وحدث ذلك في السنة الثانية والعشرين من حكم أوسركون الثاني ، ولكننا لا نعرف على وجه التحديد التاريخ الذي أعلن فيه حرسا إيس ملكا على طيبة أو مشتركا مع أوسركون الثاني .

حرسا إيس ابن الكاهن الأول شيشنق الذي أصبح ملكا باسم شيشنق الثاني وقد خلفه ابنه حرسا إيس كاهنا أكبر لأمون ثم ملكا على طيبة .

تزوج حرسا إيس من سيدة تدعى نسرت تاوى ولقد انجب منها طفلين وهما الأميرة أست ورت وهي التي أعلنها والدها أول كاهنة أولى للإله أمون ، وأبنه بادو باست عينه كاهنا أكبر لأمون ملك الآلهة .

عثر على تمثال لحرسا إيس من المرمر في خبيئة الكرنك وقد مثل قاعدا في وضع قرفصاء على قاعدة وذراعاه مطويتان على ركبتيه ويبلغ ارتفاع هذا التمثال حوالي سبعة وخمسين سنتيمتر ، ولقد وجد على التمثال نقش يوضح اسم الملك حرسا إيس محبوب أمون .

ولقد وجد له صندوق تابوت في قفط وهو محفوظ الآن بمتحف القاهرة ، واكتشف قطع من غطاءين من النسيج عليهما اسمه ابنة الملك رب الأرضيين محبوب أمون حرسا إيس معطى الحياة مثل رع .
وقد مثل هذا الفرعون في منظر على أحد وجهي صندوق تابوته يقدم رمز الحقل للإله أوزير وألقابه الملكية هي حور الثور القوي الذي يظهر في طيبة ملك الوجه القبلي والوجه البحري حز خبر رع ستين أمون ابن الشمس محبوب أمون حرسا إيس .

وعلى الوجه الآخر من صندوق التابوت يوجد منظرا آخر مثل فيه كاهن أكبر لأمون وهو ابن حرسا إيس يحرق البخور ويصب القربان أمام أوزير وآلهة آخرين .

الفرعون تلكوت الثاني

بعد وفاة أوسركون الثاني خلفه أبنه تلكوت الثاني الذي اتخذ لنفسه لقبا هو حارسيس كما اتخذ الألقاب الفحل القوي الظاهر في طيبة وجد خبر رع ستب ان رع وتلكوت مر أمون وهو اللقب الذي كان اتخذه من قبل شيشنق الأول .

وقد تزوج الملك تلكوت الثاني من آمراه تدعى كار معمع أبنه أخته إذ كانت ابنه الكاهن الأكبر لأمون المسمى نيملوت ، وتمتاز زوجة تلكوت الثاني عن زوجة أوسركون الثاني بأنها كانت تحمل لقب المحبوبة من أمون ، وقد كان تلكوت الثاني ماهراً لأنه عين أبنه أوسركون كاهنا أكبر لأمون في طيبة ، وقائداً لكل البلاد ، والقائد العام للجيش وحاكم الجنوب ،

ولقد نشبت ثورة عنيفة في العام الخامس عشر من حكم تلكوت الثاني ، واستمرت تلك الثورة حوالي عشر سنوات حتى تم القضاء على تلك الثورة .

وتوجد لوحة من الحجر الجيري في متحف القاهرة تخص هذا الفرعون وعصره ، والجزء المستدير منها مثل عليه الملك تلكوت الثاني وهو يقدم العين السليمة وزات التي تعد رمزاً لكل قربان طيب لأربعة آلهة وهي الآلهة باست وعلى رأسها قرص الشمس وكانت عبادتها منتشرة في عهد الأسرة الثانية والعشرين وخاصة في بوبسطة والإله حور حكنو لابسا التاج المزدوج والإله سبد رب الشرق في صورة صقر والإله نفر توم حامى الأرضيين وهو يعبد ابن الآلهة باست .

وكذلك نجد نقشا كان على قطع من السقف في مؤخرة معبد الكرنك والمعروف الآن بمعبد تحتمس الثالث ، وهذا النقش محفوظ في متحف اللوفر بفرنسا ، وقدم هذا النقش معلومات هامة عن تاريخ تلك الحقبة الغامضة فهي تضع أمامنا مقدمات ذات قيمة عن إدعاء كهنة أمون بأنهم أصحاب الحق الشرعي في تولى مناصب الكهنة في معابد الكرنك ، ومن خلال هذا النقش أيضا يوضح وصول أوسركون ابن تلكوت الثاني بوصفه كاهنا أكبر لأمون إلى طيبة في السنة الحادية عشرة من حكم تلكوت الثاني ، وكانت المناسبة التي كتب فيها هذا النقش هو عيد خونسو

ويذكر دارسي أن هذا الملك تلكوت الثاني هو صاحب نقوش بوابة بوبسطة الموجودة في الزاوية الجنوبية من الردهة الكبرى لمعبد الكرنك ولقبه حز خبر رع ستبن رع ، وكذلك نقش تلكوت الثاني اسمه على

مدخل بوابة معبد بتاح يقول في هذا النقش أنه جدد هذا البناء ، وكذلك وجد في برلين بألمانيا قطعة من لوحة مثل في أعلاها قرص الشمس المجنح وأسفله نقش مؤلف من تسعة اسطر عمودية كآلاتي :

أوزير كاتب الملك والكاهن والد الإله وكاتب سر الحقل الإلهي المسمى نس با حر عن ابن الكاتب والكاهن والد الإله وكاتم سر الحقل الإلهي سماتاوى بن الكاهن الأول للآلهة باستت ربة باست (تل بسطة) ، وفي أسفل هذا سطران أفقيان يحتويان على صيغة القربان العادية ، وفي أسفل هذا المتن نجد منظراً للفرعون تلكوت يقدم للآلهة باستت ربة بوبسطة إناءين من النبيذ ، وتقدم له بدورها الحياة والصحة ، وخلف الإلهة باستت يقف الإله سبد رب الشرق في صورة إنسان برأس صقر وخلفه متن : أعطى ملك رع .

وكذلك يوجد في متحف برلين شريط من الجلد الحمر عليه اسم هذا الفرعون .

الفرعون شيشنق الثالث

اعتلى العرش شيشنق الثالث بعد وفاة الملك تلكوت الثاني ، وقد حكم هذا الملك مدة طويلة تزيد عن خمسون عاما ، واتخذ شيشنق الثالث الألقاب وسر ماعت رع ستب أن أمون شيشنق ، سى باست ، مر أمون ، وابن باست ، الإله ، حاكم هليوبوليس ، الفحل القوي محبوب رع والفحل القوي محبوب معات .

تزوج الملك شيشنق الثالث من زوجته تنت أمن أبت ، ولقد وجد اسم هذه الملكة على قطعة من الحجر الرملي عثر عليها في منف وهي محفوظة بالمتحف المصري ، وكذلك ذكرت على قاعدة تمثال من الديوريت ، وأنجب هذا الملك من زوجته بنتان هما عنخنس وجاء ذكرها على نفس قطعة الحجر السالفة الذكر ، والأخرى تاشبتن باستت وجاء ذكرها على تمثال الكاهن نسر أمون .

أهم عمل قام به شيشنق الثالث في تانيس هو البوابة الضخمة التي أقامها في معبد تانيس الكبير وهي التي تعرف باسم البوابة الغربية ، وقد غطاها كلها بالجرانيت .

وهذه البوابة تتألف من برجين قويين يفصلهما ممر عرضه خمسة أمتار يرتكز عليه الجداران المبنيان من اللبن وواجهات البوابة منحنية بعض الشيء ونجد في كل برج من الداخل كوة تواجه الداخل وتؤلف مربعا مضبوطا طول ضلعه خمسة أمتار ونصف متر ، وكان من الممكن أن يوضع مصراع من خشب الصنوبر أمام كوة البرج الجنوبي لأجل إغلاق الممر ، ونجد أن الواجهات والفرج التي للبوابة مزخرفة بالنقوش الموزعة على ثلاث صفوف ذات حجم متناقص وكوة البرج الجنوبي وحدها التي كان يرد عليها مصراع الباب عندما كانت تفتح البوابة وقد تركت خالية من أية زخارف ، وهذه النقوش جيدة الصنع وتمثل الملك شيشنق الثالث فيها أمام الآلهة الذين كانوا يتمتعون بإنعام الملك بعد أن حلوا محل الآلهة الحامين القدامى للبلاد وهم ثالوث طيبة (أمون وموت وخونسو) وكذلك الإله مين هو وإله آخر للجنوب والآلهة سخمت برأس لبؤة وحتحور برأس بقرة والتاسوع العظيم ، وكذلك توجد السفن المقدسة لآلهة طيبة .

ومواد هذه البوابة العظيمة مأخوذة كلها من آثار قديمة من نفس المكان ، وكانت هذه المدينة الدينية العظيمة التي أقامها فيها رعمسيس الثاني المباني الضخمة منذ ثلاثة قرون من العهد الذي نحن بصدده كانت محجرا منذ بداية الأسرة الحادية والعشرين لكل الملوك الذين كانوا في حاجة إلى أحجار لإقامة مبانيهم ، وقد استعملها ملوك الأسرة الثانية والعشرين بعد محو اسم رعمسيس الثاني وكتابة اسماهم لاستعمالها في إقامة مبانيهم .

عثر على مقبرة شيشنق الثالث على مسافة بضعة أمتار من مقبرة أمنمأبت أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرون ، وكانت هذه المقبرة مستطيلة الشكل ومقامة من الحجر ، وكانت المقبرة مزخرفة بالنقوش والصور ، وكذلك تضم تابوتان من الجرانيت الرمادي .

وفي أواخر عهد الملك شيشنق الثالث نشأت أسرة ملكية أخرى هي الأسرة الثالثة والعشرين ، وكانت تعاصر الأسرة الثانية والعشرين وخاصة في الفترة الأخيرة منها .

الفرعون بماى

خلف الملك بماى شيشنق الثالث على عرش مصر ، الذي يرجح أنه لم يحكم أكثر من ست سنوات .

عثر على لوحة باسم خنوم خونسو الشاب في السرابيوم مؤرخة بالسنة الثانية ، وهذه اللوحة هي الوحيدة من مجموعة آثار السرابيوم المؤرخة بالسنة الثانية من حكم بماى ، وهذه اللوحة أعطتنا تاريخا سليما من عهد هذا الفرعون وكذلك ألقابه .

كما توجد لوحة في متحف اللوفر باسم شخص يسمى باتقب ، وقد أرخت بالسنة السادسة من عهد ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضيين وسر ماعت رع ستبن رع ابن رع رب التيجان بماى محبوب أمون معطى الحياة ، وهذه اللوحة تؤكد أن بماى حكم أكثر من ست سنوات كما جاء على اللوحات الأخرى التي وجدت باسمه في معبد السرابيوم .

ولا نعرف من أسرة هذا الملك إلا اسم ابنه الملك شيشنق الرابع كما جاء على لوحة للعجل السادس من عهد الأسرة الثانية والعشرين لشخص يدعى حور ومؤرخة بالسنة الحادية عشرة من عهد الملك شيشنق الرابع .

الملك شيشنق الرابع

اعتلى هذا الملك عرش مصر بعد وفاة والده الفرعون بماى ، وتدل الآثار أن هذا الملك قد حكم لمدة سبعة وثلاثين عاما .

ومن آثار الملك شيشنق الرابع أنه عثر على لوحة في مدفن العجل الخامس من عجول الأسرة الثانية والعشرين وهي محفوظة بمتحف اللوفر وقد مثل في أعلاها العجل أبيس مضطجعا ومحنطا على سرير ، وقد

نقش أسفل هذا المنظر صيغة القربان المعتادة ، وقد ذكر أن هذا العجل قد توفى في السنة الرابعة من حكم شيشنق الرابع .

كذلك وجد اسم هذا الملك شيشنق الرابع على لوحة مؤرخة بالسنة الحادية عشرة أقامها شخص يسمى حور ، وهذه اللوحة بمتحف اللوفر .

كما عثر على لوحة حور باسن في مقبرة العجل أبيس السابع من عهد الأسرة الثانية والعشرين وقد أقامها حور باسن أحد أعضاء الأسرة المالكة في السنة السابعة والثلاثين من حكم الملك شيشنق الرابع .

عثر على آثار مبنى للملك شيشنق الرابع في تانيس وذلك في الجهة الشمالية من المعبد الكبير ، وقد بلغ عدد الأحجار التي نقشها هذا الفرعون واستعملت في جدران البحيرة المقدسة فيما بعد لهذا المعبد حوالي مائة وعشرين حجرا بعضها نقوش إهداء وبعضها قطع أفاريز وتيجان عمد وأجزاء عليها مشاهد تصور الفرعون وهو يتعبد للآلهة أمون وموت وخونسو ومين وبتاح وسخمت والسفينة المقدسة .

الفصل الثالث

الأسرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين

الأسرة الثالثة والعشرون

تمكن بدو باست في العام الثامن من حكم الملك شيشنق الثالث من تأسيس أسرة جديدة وهي الأسرة الثالثة والعشرين وكانت معاصرة لنهاية الأسرة الثانية والعشرين .

صار بدو باست (سهرايب رع مرى أمون) ملكا واختار عاصمة جديدة لحكمه هي مدينة ليونتو بوليس (وهي تل المقدام الحالية المتاخمة لقرية كفر المقدام على بعد عشرون كيلو شرق ميت غمر بمحافظة الدقهلية) ، بينما كان يحكم ملوك الأسرة الثانية والعشرين من بوبسطة أو تانيس ، وبذلك كان هناك أسرتين تحكم مصر في وقت واحد من عاصمتين مختلفتين هما تانيس وليونتو بوليس ، وتمكن الملك بدوباست من بسط نفوذه حتى مدينة طيبة التي رحبت بحكمه .

وذكر مانيتون عن هذا الملك بأنه مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين ، وكانت هذه الأسرة تضم أربعة ملوك فقط بينما يذكر كتشن عدد ملوك هذه الأسرة ثمانية ملوك وتبدأ الأسرة بحكم بدوباست ، ولوحظ أن هذه الأسرة الجديدة لم تخلف الأسرة الثانية والعشرين بل كانت معاصرة لها ، ولوحظ أنه في حكم بدوباست كانت القيادة العليا للجيش في طيبة كانت في يد أحد أولاد شيشنق الثالث ، ونذكر فيما يلي ما نعرفه عن ملوك الأسر الثالثة والعشرين .

الفرعون بدوباست

ذكر مانيتون أن هذا الملك حكم لمدة خمسة وعشرين عاما غير أنه جاء في بعض النسخ أنه حكم لمدة أربعين عاما ونسخ أخرى تؤكد أنه حكم لمدة أربعة وأربعين عاما ، أما الآثار التي عثر عليها تؤكد أن آخر عام ذكر فيها هذا الملك هي السنة الثالثة والعشرون .

عثر مونتيه على قطعة حجر تحمل اسم هذا الملك بالرغم من عدم العثور على أي أثر لهذا الملك في تانيس ، كما ذكر مونتيه أن كتاب الملوك ذكر أن هناك ثلاث ملوك باسم بدوباست ، وأقدمهم هو المعروف من نقوشه الموجودة على مرسى الكرنك وهو الذي يظهر أنه عاش في عهد الملك شيشنق الرابع ، وليس لدينا إلا اللقبان الأخيران من ألقابه وهما الملك وسر ماعت رع ستبن أمون ابن رع بادو باست محبوب أمون ، ولدينا بادو باست ثالث بلقب ابن باستت ومكانه بين ملوك الأسرة الثالثة والعشرين ولقبه سهرايب رع مرى أمون .

عين بدو باست في العام الرابع عشر من حكمه ايوبوت كشريك له في الحكم ، وتصرف هنا كفرعون مستقل دون أن يشير إلى الملك شيشنق الثالث ، ويبدو أن الأسرتان تقاتلا في البداية ثم رضيا بالأمر الواقع آخر الأمر .

أصبحت مصر تحكم من أسرتين ملكيتين في وقت واحد ، وكذلك من عاصمتين مختلفتين تانيس وليونتو بوليس وقد اعترف بكل منهما في أنحاء البلاد ، وفي نفس الوقت ظل الأمراء الإقطاعيون شبه مستقلين ولكل منهم مظاهر الملك بصورة مصغرة ، وهكذا تطورت الأمور وتغير ميزان القوى وانتشرت القلاقل في مصر حتى انقسمت أحزابا .

بدأ بدو باست يمارس سلطانه وخاصة في طيبة التي سعدت كثيراً بطرد الموالين لملوك تانيس ومساندة أنصار بدو باست ، وفي العام الخامس عشر ظهر ايوبوت الأول كشريك لأبيه بدو باست في الحكم ، وفي نفس العام ظهر الأمير أوسركون ككاهن أكبر لأمون في طيبة مرة ثانية ، بعد أن كان شيشنق الثالث قد عين حارسيس في مكانه منذ عشرين عاما ، وظل في منصبه حتى العام التاسع والثلاثين حيث خلفه تكلوت والذي كان أصغر أبناء نيملوت الثالث .

الملك ايوبوت الأول

خلف الملك بدو باست الملك ايوبوت الأول (وسى ماع رع ، ستب ان أمون) ، ليس لدينا تاريخ مؤكد لهذا الفرعون إلا تاريخ السنة الثانية على مقياس النيل بمرسى الكرنك وهي السنة السادسة عشرة من حكم الملك بدو باست التي تقابل السنة الثانية من حكم ملك الوجه القبلي والبحري ايوبوت .

من آثار هذا الملك عثر على قاعدة تمثال من الجرانيت الوردي لملك يدعى ايوبوت كشف عنها في تل اليهودية وجاء عليها : ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضيين وسر ماعت رع ستبن أمون بن رع رب التيجان ايوبوت بن باست مرى أمون .
كذلك يوجد عقب باب في متحف القاهرة كشف عنه في تل المقدام مصنوع من البرونز وجاء عليه : ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضيين وسر ماعت رع ستبن أمون ابن رع رب التيجان ايوبوت بن

باستت محبوب أمون رب القربان والزوجة الملكية العظيمة تنت كان معطاة الحياة ، السامعة الأولى للآلهة وازيت سيدة أم فعل بوساطتى أنا نفرت نيتو لأجل أن أعمل مكانا جميلا .

الفرعون أوسركون الثالث

ذكرت المصادر القديمة أن خليفة شيشنق الرابع ابنه أوسركون الثالث من زوجه الملكة كاماما ، مريت أمون الثالثة ، والتي ربما دفنت في ليونتو بوليس عاصمة الأسرة ، وقد عثر في قبرها في تل المقدام على مجموعة نفيسة من المشغولات الذهبية والمجوهرات ، وقد ذكرت المصادر أن أوسركون الثالث قد أنهى سيادة الأسرة الثانية والعشرين في أهناسيا ، وقد عين ولده تكلوت كاهنا أكبر لأرسافيس وحاكما للجنوب وقائدا للجيش ورئيسا في (بى سخم خبر رع) كما عين ولده نمرود حاكما على الأشمونين ، وأما في طيبة فقد نصب ولده تكلوت كاهنا أكبر لأمون ، وهكذا ورثت الأسرة الثالثة والعشرين الأسرة الثانية والعشرين في المراكز الرئيسية في مصر الوسطى والعليا ، واكتسبت الولاء المحلي الشكلي تقريبا في جنوب منف والدلتا ، وقد استمرت السجلات المؤرخة في طيبة تذكر في عبارات مقتضبة عهود الأسرة الثالثة والعشرين ، ومن ذلك سجلات مقياس النيل للأعوام ١٢، ١٣ ، ٢١ ، ٢٢ من عهد أوسركون الثالث ، ويوجد نقش من هذا النوع يؤرخ بالعام الثامن والعشرين من عهد أوسركون الثالث ، وهو نفس العام الخامس لابنه تكلوت الثالث الذي أصبح شريكا له في العرش ، كما أن هناك نقشا يمثل العام التاسع والعشرين والذي يمثل نهاية هذا العهد .

ولعل أهم حدث من عهد أوسركون الثالث هو فيضان النيل فيضانا مرتفعا ، أغرق معبد الأقصر وسبب أضرارا بالغة حيث حطم الرصيف الأمامي فتدفقت المياه إلى المعبد ، فأمر الملك بترميم ما تهدم وبناء رصيف آخر ، وقد خلد الملك ذكرى هذا العمل على نقش في الزاوية الشمالية الغربية لبهو الأعمدة في نفس معبد الأقصر ، كما أن هناك ما يشير إلى أن القوم كانوا قد أخرجوا تمثال الإله أمون رع أملين أن يخفف الإله حدة الأزمة ويظهر معجزاته ، وهناك حدث آخر من عهد أوسركون الثالث ، ذلك أنه لم يتبع سنة آبائه في تنصيب ولده كاهنا أكبر لأمون فحسب ، وإنما وضع كذلك ابنته شب ان أوبت شبن وبيه في هذه الدولة الكهنوتية باسم زوجة أمون الإلهية ولم يمض طويل عهد حتى زاد نفوذ الزوجات الإلهيات لأمون وغطى على نفوذ كبار الكهنة ، وكانت شب ان أوبت أولى سلسلة من السيدات استمر نفوذهن لمدة قرنين من الزمان ولعبن دورا في السياسة ربما كان أكثر أهمية من دورهن في الحياة الدينية .

تزوج الفرعون أوسركون الثالث من زوجته تنتسا ، ولقد وجد اسمها على لوحة محفوظة في متحف تورين ، وقد انجب منها بنت واحدة تسمى شبن أبت ، وذكر اسمها على لوحة تورين .

ومن آثار هذا الملك عثر على معبد صغير في عام ١٩٠٢م على مسافة قريبة من الجهة الغربية من بوابة تحتمس الأول وملاصق لجدار السور العظيم غربي بوابة معبد منتو وهذا المعبد هو للإله أوزير معطى الحياة أو رب الأبدية كما جاء على نقوشه ، وبعد الكشف عنه وجد أنه يرجع في الأصل إلى الأسرة الثامنة عشرة ثم أعيد بناؤه في عهد

الفرعون أوسركون الثالث وتكلوت الثالث ثم أضيف له أجزاء في العهد الأثيوبي .

ويحتوى المعبد على ثلاث حجرات فنجد في الحجرة الأولى على الجدار الشرقي صورة الفرعون يرتدي التاج المزدوج وينظر إلى اليمين ويمد يده التي فيها عصوان لوضع الأساس ومعه نقش ، وفي الحجرة الثالثة نجد على الجدار الشرقي منظرا جميلا يمثل كتابة اسم الملك أوسركون واسم الملك تكلوت في نفس الوقت على الشجرة المقدسة الموجودة في المنتصف وعلى اليسار صورة أوسركون وعلى اليمين صورة تكلوت .

الملك تكلوت الثالث

انفرد تكلوت الثالث (وسى ماع رع ، ستب ان أمون) بالحكم بعد وفاة أبيه أوسركون الثالث في عام حكمه التاسع والعشرين (العام السادس من حكم تكلوت الثالث) وهناك ما يشير إلى تدمير سلسلة الأنساب الموجودة بمعبد خونسو بالكرنك مرتين في العام السابع من الحكم ، وقد عثر على لوحة وتمثال من الخزف لهذا الملك في أبيدوس ، هذا وقد انتهز معاصروه من حكام مصر الوسطى والعليا فرصة موت أبيه أوسركون الثالث وادعوا لأنفسهم حقوق الملكية كما فعل حاكم الأشمونين وحاكم أهناسيا ، وجاء ذكر هذا الفرعون على نقوش معبد أوزير بالكرنك ، وكذلك جاء اسمه على تمثال زد خونسوف عنخ .

الملك رود أمون

خلف تكلوت الثالث أخوه الصغير رود أمون وكان حكمه قصيراً ، ولقد وضع الأثري مسبرو هذا الملك ضمن ملوك الأسرة الثالثة والعشرين ، ولقد برهن على أن الأمراء الذين عاشوا في هذا العهد لم يمدوا سلطانهم بعد أسيوط ، لأن الأثيوبيين كانوا قد دخلوا البلاد فعلا من الجنوب واحتلوها .

وترك هذا الملك بعض الآثار له في الوجه القبلي فاشترك مع والده في بناء معبد الكرنك ، كذلك من آثار هذا الملك عثر على قطعة كبيرة من الحجر كانت مستخدمة في أسكفة باب من عهد البطالمة عليها اسم رود أمون عثر عليها دارسي في مدينة هابو ، وكذلك عثر على إناء من البلور الصخري محفوظ الآن في متحف اللوفر ، ووجد في طيبة لوح من تابوت للحفيدة الثانية لهذا الملك تدعى بدى أمون نب نستاوى وهذا الأثر محفوظ في متحف برلين .

الملك ايوبوت الثاني

خلف ايوبوت الثاني الملك رود أمون في ليونتو بوليس (تل المقدام) كآخر ملك في هذه الأسرة ، وكان يتمتع بحكم محلي في العاصمة وشأنه في ذلك شان أوسركون الرابع في الأسرة الثانية والعشرين في تانيس وتل بسطة .

في هذه الفترة انقسمت البلاد وبالتالي انقسمت السلطة بين فرعونين أكثر قوة فكانت الأسرة الثانية والعشرين تحكم في تانيس وتل بسطة بينما

الأسرة الثالثة والعشرين تحكم في لينتو بوليس ، كما كان يوجد ملوك يحملون لقب الملك غير أن كلا منهم كان لا يحكم إلا جزء صغير من البلاد لا تزيد مساحته أحيانا عن مساحة مقاطعة من مقاطعات القطر ، والظاهر أن كلا منهم قد أخذ يستولي على جزء من البلاد ويستقل به عن بيت الملك في عهد الأسرتين الثانية والعشرين و الثالثة والعشرين اللتين كانتا معاصرتين ، وقد ظهر هذا التمزق في وحدة البلاد في الوجه البحري ومصر الوسطى وهكذا كانت المملكة الفرعونية في وادي النيل قد انقسمت إلى أجزاء صغيرة حتى عام ٧٣٠ ق.م .

الأسرة الرابعة والعشرون

كانت مصر في نهاية عهد الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين وصلت إلى مرحلة الانهيار والانحدار الشديد حتى أصبح الأمراء المحليين في مختلف الأقاليم يدعون لأنفسهم بالملك حتى أصبحوا ملوكا مستقلين ، وبدأت مرحلة الفوضى والضعف منذ وفاة أوسركون الثاني من الأسرة الثانية والعشرين واستمر هذا الحال حتى قيام الأسرة الخامسة والعشرين ، وكان بعض هؤلاء الأمراء يحمل ألقاب الفراعنة ويضع الصل على جبينه ويكتب اسمه داخل خرطوش ، وذكر في لوحة بعنخى المشهورة أن نمرات كان يحكم في الأشمونين وبن تف دى باست في أهناسيا وأوسركون في تل بسطة ، وايوبوت الثاني في تل المقدام ، وكان بعضهم يحمل لقب الأمير الوراثي مثل بتى ايزة في أتريب (في بنها) هذا فضلا عن أربعة حكام كانوا يحملون لقب رؤساء ما الشهير ، وهم أمراء منديس وأبو صيربنا وسمنود وبيس ابتى ، وكانت أسرات منديس وبوسيريس (على بعد تسعة كيلو غرب سمنود) أقوى عائلات وسط الدلتا ، وأما في غرب الدلتا فكان تف نخت حاكم ساو (صان الحجر) يحمل لقب الرئيس العظيم للغرب ، هذا وقد عثر في منف على آثار لأولئك الذين كانوا يحملون لقب رؤساء ما مثل شيشنق الذي كشف عن قبره أحمد بدوي في عام ١٩٤١م .

في عام ٧٢٢ق.م أصبح تف نخت رئيس ما العظيم كما زعم أنه رئيس الليبو العظيم ، كما فعل عنخ حور الذي أدعى هذا اللقب في العام السابق ، وإلى هذه الألقاب تشير لوحة السنة الثامنة والثلاثين من عهد شيشنق الخامس والتي لم تصف اللقب الهام الرئيس العظيم لكل البلاد

فحسب وإنما كذلك الألقاب الدينية مثل لقب كاهن نيت وادجو ، وسيد العامو ، هذا فضلا عن ألقاب أخرى مثل رئيس الغرب والرئيس العظيم للغرب ومدير إدارات مصر السفلى وملك الأقاليم الغربية وغيرها من الألقاب التي تعكس حكمه في سايس حتى بوتو شمالا وكوم الحصن في اتجاه الجنوب الغربي ، ذكر بعض الباحثين ملوك الأسرة الرابعة والعشرين وهم تف نخت(شبسس رع) وباك ان رن اف (واح كارع) وتف نخت الثاني (واح ايب رع) ونكاوبا (اير ايب رع) ونكاو الأول (من ايب) وسنتناول أول ملكين فقط لعدم وجود معلومات كافية عن باقي ملوك هذه الأسرة .

تف نخت

كان أميرا لمدينة ساو ، وقد نجح في تجميع أغلب الأمراء في الدلتا من حوله أثناء غزو بعنخى ، وأنه قد حاول الوقوف أمامه ولكنه فشل ، وطبقا للوحة الموجودة في متحف أثينا فلقد كان الرجل ملكا وقد أوقف أرضا لمعبد نيت في ساو ، وقد صور في منظر يعلوه نص يسجل ألقابه الملكية ويقدم علامة الحقل للآلهة نيت والإله أتوم .

سيطر تف نخت على النصف الغربي من الدلتا ، وأسس الأسرة الرابعة والعشرين ، وعمل على إخضاع الأمراء المحليين في مصر العليا حيث أراد وحدة البلاد وإنقاذ مصر من الفوضى التي انتشرت فيها ، ورغم هذه القلاقل والفوضى التي انتشرت في الدلتا ظلت طيبة كما هي يحكمها كهنتها العظام .

باك ان رن اف

خلف الملك تف نخت الملك باك ان رن اف ، وكان مانيتون قد نسب خطأ إلى أن هذا الملك قام بتأسيس الأسرة الرابعة والعشرين كما ذكر أن مدة حكمه لا تزيد عن ست سنوات ، ولم تعترف به طيبة كملك ، وقد وصف مانيتون بو خريس بأنه كان مشرعا عظيما ، وقد ذكر المؤرخون القدماء إلى أن هذا الملك كان من بين الستة المشرعين الكبار في مصر وله مجموعة من الشرائع والإصلاحات الاجتماعية والقضائية التي وجدت آثارها في الوثائق الديموطيقية ، وجاء ذكره اسمه على لوحة من السرابيوم تسجل دفن أحد عجول أبيس في عامه السادس .

العلاقة بين العناصر الليبية والمصريين

سيطرت العناصر الليبية على أمور البلاد في عهود الأسرات من الأسرة الثانية والعشرين وحتى الأسرة الرابعة والعشرين وكان من أهمها سياسة تلك العناصر الليبية المتمصرة نحو الواحات ونحو طيبة ذات المكانة السياسية والدينية .

أما عن علاقة تلك العناصر الليبية بالواحات التي استقر بها بويو واوا جد الأسرة الليبية في نهاية الأسرة العشرين وقبل نزوله إلى أهناسيا وربما أن قواد المشوش لم ينسوا أبدا موطنهم في الصحراء الغربية في واحة سيوة أو البحرية واللتان ترتبطان بالفيوم بمنخفض يؤدي إلى هاتين الواحتين ، والتي استقروا فيها حينا من الدهر قبل أن ينتقلوا نهائيا إلى وادي النيل ، وكذلك قاموا بتنظيم واحات الصحراء الغربية وبخاصة

الواحتين الداخلة والخارجة وهما من الواحات الغنية ، وكان شيشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين حاكما ماهرا وكان مهتم بالواحات كمحطات للقوافل وكأرض غنية تنتج الخمور ذات الربح الوفير ، وقد سار ملوك هذه الأسرة على نهجه ، وكان هناك عدة عائلات هامة تعيش في الواحات المختلفة وتخضع لنفوذ الحكومة المصرية التي كان على رأسها حكام ينتمون إلى الأصل الليبي .

وكانت سياسة الملوك المتمصرين نحو طيبة ذات المكانة السياسية والدينية فلقد اصطدموا في بداية عصرهم بطيبة فلم يعترفوا أهالي طيبة بهم بسبب أصلهم غير المصري ، فلقد حرصوا على تعيين أولادهم في وظيفة كاهن أكبر لأمون لكي يكفل لأسرتهم النفوذ والسلطة ويكون لهم نصيب من ثروات أمون هذا بجانب صبغتهم بالصبغة الحربية حيث كان الكاهن الأكبر يلقب بقائد الجيش .

أظهر هؤلاء الملوك المتمصرين اهتماما بالدين والمعابد ومنها اهتمامهم بمدافن عجول أبيس في سرابيوم منف وخصصوا العمائر الدينية لإله الدولة أمون وكانت تلك المباني بسيطة ، لجئوا إلى هدم معابد الفراعنة العظام التي أقيمت على مقربة من الدلتا واستعمال أنقاضها في بناء المباني والتماثيل الخاصة بهم .

الفصل الرابع

الأسرة الخامسة والعشرون

الأسرة الخامسة والعشرون

أقدم ما نعرفه من زعمائها هو ألارا وربما كان قد سبقه في حكم نباتا ستة رؤساء لا نعرف عنهم شيئا بل أن ألارا عرف من نصوص متأخرة وكتب اسمه داخل طغراء يخص ابنته الملكة تابيرى زوج بعنخى الأولى ، كما جاء ذكره على لوح من كوه يرجع إلى العام السادس من عهد طهراقا دعي فيه " الرئيس ابن الشمس ألارا " .

الملك كاشت

المؤسس الحقيقي للأسرة الخامسة والعشرون ، وكان شقيق ألارا ، والملك كاشت تزوج من زوجتين وأنجب من الأولى أبنه تسمى بيكساتر مأمون أردس ، وأنجب من الزوجة الثانية أبن بعنخى وأبنه تسمى أبار ، وقد وجد اسمه على قطعة خزف مطلي في الكور وبالمقبرة رقم واحد .

استطاع كاشت أن يحتل النوبة السفلى وأن يتخذ الأسلوب الفرعوني في حمل الألقاب فأطلق على نفسه عندما تولى حكم نباتا لقب " ملك مصر العليا والسفلى ، ماعت رع ، ابن رع ، كاشت ، وقد أقام لوحة في اليفانتين (جزيرة أسوان) ، وعثر مسبرو على قطعة من لوحة مستدير أعلاها مصنوعة من الجرانيت ، واللوحة على ما يظهر كانت صغيرة ونجد على الجزء الأعلى الباقي منها قرص الشمس المجنح يتدلى منه الصل الملكي على اليسار وله جناح واحد ، وعلى اليمين نجد صورة العين السليمة ، وفي أسفل هذا المنظر كان يوجد في الأصل على اليمين إلهان " خنوم _ رع " رب الشلال ولكن لم يبق من صورته إلا جزء

صغير ، والإلهة ساتت سيدة اليفانتين ، ولم يبق من صورتها شئ قط ، ويقدم لها الملك على ما يظهر مذبحا عليه نار ، ولم يبق من صورة الملك إلا الرأس الذي يرتدي قبعة محلاة بصل ملكي واحد .

وأقام لوحة أخرى في الصحراء الشرقية تسجل عامه الثاني عشر ، وهناك ما يشير إلى أنه على الأقل قد أقام علاقات مع طيبة وذلك لأنه اتخذ الأسلوب المصري في الحكم ، وكذلك أتخذ ديانة أمون ديانة رسمية في نباتا ، وكذلك عثر على درع كرس للآلهة موت وقد سجل عليه اسمه ، وكذلك على جعران مما يشير إلى علاقته مع الطيبيين مما يؤكد سيادته على طيبة حيث استطاع أن يجبر أوسركون الثالث على التقهقر شمالا ، وأن يجبر ابنته شبن أوبت الأولى على تبنى ابنته أمون أمنرديس الأولى حتى يمكنه عن طريقها السيطرة على كهانة أمون وثرواته الطائلة ، وقد حملت أمون أردس هذه لقب عابدة الإله وزوجة الإله ثم أصبحت فيما بعد أما تتبنى بدورها شبن أوبت أخرى هي أبنه أخيها الملك بعنخى .

الملك بعنخى

تولى الملك بعنخى عرش نباتا عام ٧٤٧ ق.م بعد وفاة والده كاشت ، وفي خلال السنوات العشر الأولى من حكمه كان حاكم طيبة وحاميها ، وأنشأ الحاميات وأقام قوة حربية في جنوب مصر العليا ، وطالب الحكام المحليين بالولاء له في مصر العليا والوسطى ، وقد اعتبر نمرات أمير الأشمونين في وقت ما قد ارتد في ولائه لبعنخى وحوله إلى تف نخت ، وقد وجد طموح بعنخى لحكم مصر والنوبة معا تعبيرا في هذا العصر على لوحة من الحجر الجيري أقامها في معبد أمون في جبل البرقل في

عام حكمه الحادي والعشرين ، وقد كشف عنها ضابط مصري عام ١٨٦٢م وتوجد الآن بالمتحف المصري وهي مصدر هام للمعلومات التاريخية والجغرافية عن مصر في هذه الفترة ، وقد اتخذ بعنخى الاسم الحوري " الفحل القوى ، الذي ظهر في نباتا " والاسم النبتى " دوام الملكية مثل رع في السماء " فضلا عن اسم حور الذهبي مقدس التجليات ، عظيم البأس " وألقاب أخرى مثل " الذي يحي برؤيته كل شئ مثل حور اختى "

استولى الملك بعنخى على مصر ، وأسس الأسرة الخامسة والعشرين وذلك حين جاءته أخبار من مصر الوسطى بتقدم تف نخت نحو مصر العليا ، وأن أعوانه من أمراء مصر الوسطى وبخاصة في أهناسيا والأشمونين استمالوا لرغباته وخضعوا لطموحه ، فلذلك قرر الملك بعنخى أن يتدخل في شئون مصر إنقاذا لها من الأسرات الليبية التي حكمت مصر فترات طويلة .

وجاء في لوحة بعنخى أن أميراً مغامراً من الدلتا يسمى تف نخت قد استولى على الغرب ، ووصل جنوبا حتى اللشت وأنه أبحر إلى الجنوب على رأس جيش كبير وعند اقترابه فتح حكام القرى والمدن بواباتهم وجاءوا في أعقابه أذلاء كالكلاب ، ثم اتجه شرقا حيث استولى على المدن الهامة على ضفة النيل الشرقية ثم اتجه إلى أهناسيا وحاصرها ومنع دخولها أو الخروج منها ، وهنا يرسل بعنخى إلى طيبة يطلب منها الصمود ، وإلى جنده يطلب منهم محاصرة كل إقليم ، ولكنه في نفس الوقت أرسل مدداً جديداً إلى مصر وزوده يوم رحيله من نباتا بتعليمات مشددة بالنسبة للخطة التي يجب اتباعها ومفادها إلا يتركوا العدو يختار

أرض المعركة وأن يؤمنوا بأمون هو الذي أرسلهم لتخليص أرض الكنانة ممن يعيشون فيها فسادا ، ولإنقاذ طيبة ومعابدها ممن حدثتهم أنفسهم بالاعتداء عليها ، ومن ثم فعليهم حين يصلوا إلى طيبة أن يظهروا أنفسهم في النيل وأن يرتدوا كنانا نظيفا ، وأن يريحوا القوس ويفكوا السهام وألا يفخروا بقوتهم " لأنه بدون أمون لا تكون للشجاع جسارته أنه يقوي الضعيف وهكذا تهرب الكثرة أمام القلة ، ويغلب رجل واحد آلف رجل " وهذه التعبيرات ليست تعبيرات فاتح أجنبي وانما هي لرجل يؤمن أن طيبة بلده وأن مصر وطنه وأن أمون ربه ، فلقد لهبت هذه المشاعر النبيلة الحماس في جنود بعنخى فانطلقوا إلى طيبة وهم يؤمنون أنهم في جهاد في سبيل أمون ومن أجل مصر وطنهم الأول ونفذوا كل ما أمروا به وبينما هم يتجهون نحو الشمال اعترضهم جحفل ضخم كان يبحر نحو الجنوب ليدخل المعركة ضدهم ودارت بين الفريقين معركة على ضفاف النيل ، وكتب لهم النصر فيها وتمكنوا من الاستيلاء على الكثير من السفن والرجال وأرسلوا إلى نباتا بالعديد من الأسرى .

كان من الضروري أن تسترجع مدينة أهناسيا ومن هنا واصلوا تقدمهم نحو الشمال عن طريق بحر يوسف حيث كان ينتظرهم تف نخت هناك على رأس جيش كبير يتكون من قوات نيمرات أمير الأشمونين وأيوبوت ملك ليونتو بوليس (تل المقدام) وأوسركون الثالث ملك بوباسطة وشيشنق أمير بوسيريس (أبو صيربنا) وجد أمون أوف عنخ أمير منديس وغيرهم من الأمراء ، وعلى مقربة من أهناسيا دارت معركة برية ونيلية ، كان النصر فيها كذلك لجنود بعنخى ، ولقى فيها الحلفاء الشماليون أول هزيمة لهم على بحر يوسف ، واضطر تف نخت وحلفاؤه إلى الانسحاب

إلى الدلتا ، وفر نيمرات إلى مدينة الأشمونين ليقوى دفاعاتها وليعد العدة لجيوش بعنخى التي تابعته ثم حاصرته في الأشمونين .

وقد علم بعنخى بأمر هذه الانتصارات الصغيرة في نباتا والتي لم ترضيه تماما " وحينئذ اجتاح جلالته الغضب كفهد ، وقال هل سمحوا بأن يظل هناك أحياء من جيوش مصر السفلى ، ويتركوا الهارب يهرب ليروى قصته ولا يقتلوهم حتى آخر رجل منهم أنني أقسمت ما دمت حيا ومادام رع يحبنى ومادام أمون يرعاني أن أبحر شمالا بنفسي وأن أدمر كل ما فعل وأن أجعله يكف عن القتال إلى الأبد " وعند انتهاء طقوس السنة الجديدة في نباتا أبحر بعنخى نحو الشمال على رأس قوة أخرى من جيشه وعند وصوله إلى طيبة شارك في الاحتفال بعيد أوبت حيث يذهب أمون في موكبه الوقور من الكرنك إلى القصر ، وفي هذه الأثناء كانت الجيوش المتقدمة قد أحاطت بمدينة البهنسا (على بعد ١٥ ك.م شمال غرب بنى مزار) ثم شقت طريقها إلى الحيبة على الضفة الشرقية للنيل جنوب مدينة الفشن ثم عصفت بمدينة حيبونيو غير أن هذا النجاح لم يرض بعنخى الذي نفذ صبره .

بعد انتهاء أيام أعياد أوبت أبحر بعنخى بجيشه نحو الشمال إلى أن وصل إلى الأشمونين حيث أقام خيامه في جنوب غرب المدينة ثم بدأ في حصارها بأن أقام منحدرا ليغطى الأسوار وآلات تعلو بضاربي السهام حين يقذفون سهامهم وكذا مقاليع لقذف الأحجار التي تقتل العديد منهم كل يوم وأخذ رماته يمطرون المدينة وابلا من سهامهم ورأى نمرات أن المجاعة أخذت تفتك بجنوده وأن هذا الحصار الطويل قد أنهك الجميع وأنه لا قبل له بهذه الجيوش الجرارة وسرعان ما بدأت الأشمونين تفوح

رائحتها ، وأخذ أهلوها يقذفون بأنفسهم ملتمسين الرحمة من الملك وراح الرسل يدخلون ويخرجون يحملون الهدايا من ذهب وصناديق ملأى بالملابس ثم جاءت زوجة نمرات متوسلة إلى زوجات الملك وبناته وأخواته راجية إياهن أن يتشفعن لدى حور رب القصر العظيم في قوته الحاسم في نصره ، ونالت المرأة سؤالها وفتحت المدينة لبعنخى وكان أول عمل يبرز تقواه أن قدم الأضاحي للإله تحوت وبقية الآلهة المحلية ثم قام بعد ذلك بجولة تفتيشية على قصر نمرات ومخازنه .

تقدم بعنخى نحو الشمال وفي الطريق إلى منف مفتاح مصر قدمت له بى سخم خبر رع شمال البهنسا واللاهون التي ترددت أول الأمر ثم استسلمت بعد ذلك ، واستولى بعنخى على خزائنها التي خصصت لمعبد الكرنك ثم قدمت ميدوم واللشت خضوعهما ، وأن تخلفت الفيوم وأطفيح لأنهما لم يكونا في طريق الفاتح الجنوبي ، وهناك في منف يقدم أمير أهناسيا ولاءه ، وأقفلت منف أبوابها في وجه بعنخى وكانت المدينة قوية التحصين وفيها من المؤن ما يكفى لأوقات طويلة فضلا عن أنها كانت تقع على النيل الذي كان يجرى في الناحية الشرقية من أسوارها ، هذا إلى جانب أن تف نخت كان قد سبقه إليها ودخلها بالليل ومعه ثمانية آلاف من المحاربين ثم أسرع إلى الدلتا ممتطيا جواده ليجمع أمرائها وليكون من رجالها جيشا يباغت به بعنخى ذات ليل ، ويعقد بعنخى مجلس حربه وتدور مناقشات طويلة حول أفضل الطرق لمواجهة الموقف الجديد وذلك حين أدرك بعنخى بثاقب بصيرته وجود نقطة ضعيفة في تحصينات المدينة تصلح لأن تكون مركزا للمهاجمة ، كان النيل مرتفعا وكانت السفن الراسية في النيل أمام الجانب الشرقي من المدينة مربوطة في المساكن المشرفة على النيل لارتفاع مستوى المياه وهكذا فكر بعنخى

في أن يأتي المدينة من مأمنها فأمر بالاستيلاء على تلك السفن ليلا وضمها إلى سفنه ومن ثم فقد أمكنه أن يتسلق أسوار المدينة غير المحصنة من الشرق ، وأخذ قواتها المدافعة على غرة فلم يسعها سوى التسليم ، وقدمت الحامية المحلية ولاءها ، وأعلن بعنخى حمايته لمعبد الإله بتاح ، حيث ظهر في المعبد ، وقبل أن يحتل القصر الملكي نفسه واعترف به الإله بتاح ملكا على مصر وخلع عن عرشها تف نخت ثم أعاد الكهنة إلى مناصبهم وطهر المدينة من مظاهر الحرب وقسم الخزائن قسمين الواحد للآلهة المحلية والآخر للإله أمون رع في الكرنك .

توج مجهود بعنخى الحربي في مصر باحتلاله لمنف ، فلقد أصبح يسيطر على منف ومصر العليا ، كما كان في استطاعته أن يسحق الدلتا في أي وقت يشاء ، وسرعان ما جاءه أمراء الدلتا تباعا يقدمون ولاءهم وكان أول القادمين ايوبوت الثاني ملك ليونتو بوليس من الأسرة الثالثة والعشرين ثم رؤساء ما في سمنود وبديسى والأمير الوراثي في أتريب وهليوبوليس ثم ذهب بعنخى بعد ذلك إلى هليوبوليس حيث زار معبد الإله رع ونال اعتراف كهانته به ملكا على مصر ، كما تلقى ولاء أوسركون الرابع ملك تانيس وتل بسطة من الأسرة الثانية والعشرين ، ثم تقدم بعنخى بعد ذلك نحو الشمال وأقام معسكره في الجزء الشرقي من أقليم أتريب (بنها) حيث تلقاه هناك بديسى بترحاب كبير ، وهناك تقدمت مجموعة أخرى من الأمراء بولائها وهم ملوك ورؤساء الدلتا وكل الرؤساء الذين يضعون ريشة على رؤوسهم وكل وزير وكل صاحب مقام رفيع وكل صاحب ملكية في غرب وشرق الدلتا وكل جزيرة في الوسط ليشهدوا طلعة جلالته البهية ، وهكذا ذكرت القائمة أكثر من خمسة عشر حاكما محليا من الفراعنة إلى الحكام المحليين ، وفي أثناء ذلك كله كان

تف نخت يحاول أن ينظم عصيانا مسلحا في مسده وربما كانت قرية مسطاى الحالية على مقربة من قويسنا ، ولكن المحاولة سرعان ما سحقت ، وأهديت مسد إلى أمير أتريب مكافأة له على ما أبداه من إخلاص ، وربما لأنه هو الذي قام بإخضاعها وهنا أدرك تف نخت أن جميع من كانوا معه قد تخلوا عنه فلجأ إلى مستنقعات الدلتا ، ولكن سرعان ما أدرك أنه لا أمل في المقاومة ، وأكتفي بأن أرسل إلى بعنخى رسالة يعلن فيها خضوعه التام ، ورضى بعنخى بذلك وأكتفي بأن أرسل ضباطه إلى سايس ليقسم أمامهم تف نخت يمين الولاء للعاهل الجديد ويقدم له هداياه أو جزيته ، وقد أدى استسلام تف نخت إلى استسلام آخر خمسة من جيوب المقاومة الصغيرة أهمها الفيوم وأطفيح .

أصبح بعنخى سيدا لوادي النيل كله من البحر المتوسط وحتى حدود دولته في نباتا جنوب الجندل الرابع ، لكن الأمر العجيب أن بعنخى يظهر بعد ذلك وبعد هزيمة تف نخت وكأنما هو ينسحب إلى نباتا ، ولا يكاد يخلف لنفسه أثرا في مصر ، ولكنه بعد عودته إلى نباتا أعاد هناك بناء معبد أمون الكبير وزينه بكثير من الأسلاب التي لاشك أنه كان قد أخذها أثناء غزوه للشمال ، وربما هو الذي نقل الأسود الجرانيتية والكباش من معبد أمنحتب الثالث في صولب إلى نباتا ، وعندما مات دفن في الكرو في أول هرم حقيقي في سلسلة المقابر التي ترجع لستة أجيال سالفة .

حالة البلاد السياسية

عاد بعنخى إلى مقر ملكه في نباتا بعد أن قضى على آخر مقاومة حاول القيام بها تف نخت غير أن القائد أو النائب الذي تركه بعنخى

وراءه لإدارة البلاد لم يمض عليه زمن طويل في تصريف الأمور حتى أحس أن مهمته أصبحت شاقة وغريبة لا قبل له بتحملها وأنه ليس في استطاعته المحافظة على بقاء البلاد المصرية خاضعة راضية بالحكم الكوشي ، وسبب ذلك أن سلطان بلاد آشور كان في تلك الفترة قد امتد على كل دولة إسرائيل بعد الاستيلاء على السامرة ، وقد حدث ذلك قبل قيام بعنخى بحملته على مصر بعام واحد . وكان سرجون عاهل آشور وقتئذ قد تقدم في زحفه في بلاد الشرق الأوسط حتى أصبح على أبواب مصر ، وعلى الرغم من أن معلوماتنا ليست محددة جلية عن تاريخ هذه الفترة من الوجهة المصرية لانعدام المصادر الأثرية فإنه من الجائز أن القائد الأعظم الذي كان على رأس الجيش المصري موسرى الذي يفتخر سرجون بأنه هزمه هزيمة منكرة حوالي عام ٧٢٠ق.م في موقعة رفح أي عند حدود مصر نفسها ، إما أن يكون القائد النوبي الذي تركه بعنخى على رأس جيشه في شمال مصر ، وإما أن يكون قد نصب على هذا الجيش شبكو الذي خلف بعنخى على عرش مصر بعد وفاة الأخير .

وكان من جراء هزيمة شبكو على يد الأشوريين أن ارتد إلى الجنوب وبذلك تخلصت الدلتا من الكوشيين ، وعلى أثر ذلك قفز تف نخت من مكمنه وجمع حوله حكام مقاطعات الدلتا وأصبح مرة أخرى ملكا على مصر ، وتدل شواهد الأمور على أنه هو الذي كان فرعونا على البلاد وقتئذ وليس الملك أوسركون الرابع الذي كان قد اختفى مؤقتا ، وتذكر المصادر أن الملك تف نخت صالح الملك سرجون ملك آشور واسترضاه بالهدايا ، وقد عد الآشوريون هذه الهدايا جزية تأتي إليهم من مصر .

وقد أخذت المدنية الإغريقية تظهر من عالم الظلمات في العهد الذي جاء في أعقاب الكارثة التي حلت بعصر البرونز والثقافة الكفتية (ثقافة كريت) التي كانت معروفة في مصر في خلال عهد الأسرة الثامنة عشرة ، فقد كان العصر الجديد لتوسيع التجارة والاستعمار سائرا في طريقه وكان التجار يختلفون على مواني النيل وكان فم النيل الغربي الذي عرف وقتئذ بفرع كانوب هو الذي يرتادونه كثيرا جدا وذلك لأنه كان يهيأ مكانا مباشرا للاجئين أو طريقا على الساحل لبلاد لوبيا لا يزاحمهم فيه كثيرا الفينيقيون .

وأصبح الفرع الكانوبى للنيل بالنسبة لتجارة الإغريق ذا أهمية أعظم من الفرع البيلوزي وهو الذي كان في عهد الرعامسة ودولة اللوبيين من بعدهم الممر التجاري للفينيقيين ، وكان أهل جزر اليونان مسيطرين على تجارتها كما غذوا الشواطئ المصرية بما كانت تحمله سفنهم من زيت وخمر وتين وغير ذلك من منتجات بلادهم وكانت بلدة سايس تقع على الفرع الكانوبى وتسيطر على الطرق المؤدية إلى منف ، والواقع أن كل بلاد الدلتا كانت ضيعة لأسياد بلدة سايس ، ولا نزاع في أن الثروة التي ساعدت ملك هذه البلدة علي أن يصبح أول حكام مقاطعات الدلتا ويستولى على منف ، كانت تأتي إليه من الضرائب وما كان يجبيه من جزية يحصلها من التجارة الجديدة التي كانت قائمة بين مصر وبلاد اليونان وبخاصة من توريد الزيت والخمر من بلاد الإغريق ، ومن تصدير القمح والشعير إلى بلاد اليونان ، وكذلك من أغنام بلاد لوبيا التي كان صوفها لا فائدة منه لأهل مصر الذين لا يلبسون إلا الكتان ولكنه كان يصدر إلى بلاد الإغريق الذين ينتفعون به تماما .

وكان بو خريس مشهورا في التقاليد التي حفظها لنا ديودور الكاتب اليوناني بأنه صاحب غنى كما كان مشهورا بحكمته ، كما كان والده تف نخت مشهورا بشجاعته الحربية العظيمة ، وقد حدد بو خريس قانون العقود أكثر من ذي قبل ، إذ أصبح بعد الإصلاح الذي أدخله كل من تعاقد على دين دون اتفاق مكتوب وأنكر المدين هذا الدين بعد حلف اليمين يكون معفى منه .

وكان بو خريس في الواقع ملك أعمال وقد قفت أثره نقمة العدالة كما كانت تقفو أثر كل محب للثراء إذ يقال أن شبكو قبض عليه كما حدثنا بذلك مانيتون وحرقه حيا ، ويقال إنه في حكمه على حسب ما جاء في التقاليد المصرية المحفوظة في الكتابات الديموطيقية أن خروفا صغيرا تكلم متنبئا بالفتح الآشوري واستعباد مصر ونقل آلهتها إلى نينوى عاصمة مملكة آشور ، ولاشك في أنه هو الفرعون الذي أرسل للملك سرجون عاهل آشور جزية عام ٧١٥ ق.م عندما ثارت بلدة أشدد بقيادة المخاطر الإغريقي ياونى القبرصي وذلك ليزيل عن نفسه كل شبهة واشترك مع الأخير في مناهضة آشور .

ويقال أن بو خريس قد عزل وقتل على يد شبكو عام ٧١٢ ق.م وعلى ذلك فإنه من الجائز أن تكون هذه الرواية صحيحة في جملتها ، وبموت هذا الملك انقرض آخر ملوك الأسرة الرابعة والعشرين على رأى بعض المؤرخين ، وقد مات بو خريس بعد حكم ملئ بالمتاعب دام سبعة أعوام .

الملك شبكو

تولى شبكو عرش نباتا بعد موت أخيه بعنخى الذي حكم لمدة ٣١ عاما (٧٤٧-٧١٦ ق.م) وأتخذ شبكو لقب نفر كارع ، ذلك اللقب الذي شاع استعماله في مصر لمدة خمسة عشر قرنا ، كما استعمل غيره من الألقاب الفرعونية التي شاعت في عهد الدولة القديمة والوسطى ، وأما السبب الذي دفع شبكو إلى الاتجاه إلى مصر في عام حكمه الثاني (٧١٥ ق.م) غير معروف ، وربما كان (باك ان رنف) بن (تف نخت) قد اتجه كما فعل أبوه من قبل نحو الصعيد ،وربما كانت هناك رغبة شخصية عند شبكو ألا يقتصر حكمه على نباتا وحدها وانما يمتد إلى مصر ، حتى يصبح فرعون مصر الحقيقي ، وربما كان كسلفه ،ينشد الحفظ على الوحدة القومية في مصر ونباتا ، سواء بسواء ،كما أننا لسنا ندري ان كان شبكو قد أخذ حقا (بو خوريس) (باك ان رنف) أسيرا وأحرقه حيا ، كما يريد مانيتون أن يدخل في روعنا ، فليست لدينا وسيلة للتأكد من ذلك ، وأن كان من المؤكدان عادة حرق الناس أحياء لم تمارس بأي شكل من الأشكال طوال التاريخ المصري القديم ، كما أنه من المعروف ان شبكو قد فتح مصر كلها وجعل من نفسه فرعونا حقيقيا عليها ، وأنه قد نجح إلى أبعد الحدود في القضاء على معارضيه ، وأنه قد عين في سايس ، عاصمة الأسرة الرابعة والعشرين ، حاكما نوبيا يدعى (أمريس) على الأقل في أوائل حكمه ، وهناك في الواحات البحرية ما يدل على أنه قد حافظ على حكم بعنخى فيها ، كما تدل آثاره في الدلتا والصعيد على أنه كان يسيطر على البلاد سيطرة كاملة معتمدين في ذلك على مدافن العجول في منف ، وعلى مقياس ارتفاع النيل في الكرنك في السنة الثانية من حكمه ، وعلى عدة لوحات تكريسية من تل بسطة وصا الحجر وغيرها من مدائن الدلتا ، وترجع إلى السنوات الثانية والثالثة والسادسة من حكمه

، فضلا عن نصوص تكريسية أخري في معبد أمون بالكرنك وهكذا نستطيع القول أن الأمور قد استقرت في مصر لملوك نباتا ، وكان عليهم الحفاظ على مصر من التهديد الآشوري الذي أستغرق عهود بقية ملوك أسرة نباتا في مصر ، وهناك ما يشير إلى أن القوم في طيبة لم ينظروا إلى شبكو على أنه مجرد حاكم أجنبي نجح في إخضاعهم ، ولكنهم نظروا إليه على أنه الابن المخلص لأمون ، وكل ما حدث أنه عاد إلى وطنه القديم طيبة .

وهناك ما يشير إلى أن شبكو قد جعل من منف عاصمة له ، وربما كانت منف وتانيس عاصمتين متبادلتين ، وان شهدت طيبة نشاطا معماريا كبيرا ، ففي طيبة الغربية كان شبكو أول ملك يقيم هناك معابد منذ قرون ، حيث أضاف صرحا إلى معبد أمون الذي شيد في مدينة هابو على أيام الأسرة الثامنة عشرة ، وفي الكرنك شيد شبكو ، إلى جانب العمل في الصرح الرابع ، خزانة من الذهب في الجزء الشمالي من فناء معبد أمون الفسيح ، فضلا عن بوابة ، وربما بوابتين ، في معبد بتاج ، كما قام ببعض الأعمال في معبد موت ، حيث عثر على بعض القطع التي تحمل اسمه هناك ، وفي معبد الأقصر أضاف بعض المناظر إلى بوابة صرح رمسيس الثاني ، كما شيد هناك أعمدة بسيطة ، وفي مدينة دندرة عثر على لوحة تخلد ذكرى هدايا شبكو لحتحور سيدة دندرة ، وقد دفعه إلى ذلك اهتمامه بالمهندس المعماري الذي ولد في هذا الإقليم وقد استخدمه شبكو في إعادة بناء الأسوار المقدسة للمعابد المصرية ، وفي أبيدوس شيد شبكو مقبرة أو نصب تذكاري لابنته (استمخب) ، التي عثر لها هناك على أو شابتي ، وقد أهدى ناؤسا لمعبد أسنا كما عثر في إدفو على لوحة لابن الكاهن الثاني لأمون ، وفي منف قام شبكو بمنشآت متنوعة وبسيطة ، واليه يرجع الفضل في الحفاظ على نظرية منف عن خلق العالم

عن طريق الإله بتاح (نظرية منف الدينية) ، حيث نقلها من بردية قديمة ونقشها على لوحة من البازلت محفوظة بالمتحف البريطاني الآن .

الملك شبتكو

وجاء شبتكو (٧٠٢ –٦٩٠ ق.م) بعد عمه شبكو (٧١٦ – ٧٠٢ ق.م) ، ويبدو أن عهده كان كسلفه ، عهد سلام في الداخل ، وقد عثر له في منف على تمثال يمثله جالسا على مقربة من معبد بتاح وهو محفوظ الآن في المتحف المصري ، كما شيد مقصورة في الكرنك بالقرب من البحيرة المقدسة محفوظة الآن بمتحف برلين ، والظاهر أن هذه المقصورة كانت قد أقيمت على بقايا مقصورة لرعمسيس الثالث وتحتوى على معظم ما كان معروفا عن هذا الملك ، فضلا عن العثور على اسمه منقوشا على عدة جعارين ، هذا وقد أضاف هو وزوجته الإله أمون (أمون أدرس) فناء بوابة بمعبد أوزير الصغير ، وفي معبد الأقصر أضاف لوحتين في نهاية المعبد الجنوبية ، وقد دون نص مقياس النيل في الكرنك في العام الثالث من الحكم على وجوده في طيبة وقت ذاك ، ودعا للآلهة بأن تهب البلاد فيضانا طيبا ، وهناك ما يشير إلى أن شبن أوبت الأولى العجوز قد توفيت على أيامه ، وأصبحت عمته أمون أردس الأولى هي الزوجة الرئيسية للإله أمون ، وربما كان نس بتاح هو حاكم طيبة على عهده ، بينما كان نسى باك شوت هو وزير الجنوب ، وفي الشمال أصبح أمير صا الحجر هو ستب حنتس ، وربما كان من سلالة تف نخت عدو بعنخى القديم ، وأما مقبرة شبتكو فقد كانت كأسلافه في الكرو ، ويحتمل أن البناء الذي أقيم فوق قبره كان هرمي الشكل وبنى بالحجر الرملي ولم يبق منه إلا الخندق الدال على مكان البناء ، وتدل الظواهر

على أن السور الذي كان خول القبر قد بنى من الحجر الرملي أيضا ، وقد وجد الخندق الدال عليه كما وجدت بعض قطع من المباني في الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية وشكل المباني كان بسيطا ومزار القبر قد هدم تماما ولم يعثر على ودائع أساس لهذا الملك .

أما الجزء السفلى من المقبرة ، أي المبنى تحت الأرض ، فيصل إليه الإنسان بواسطة درج ينحدر أولا تسع درجات ثم يلتفت إلى الغرب وينحدر ثماني عشرة درجة أخرى . ويدل تحول الدرج هذا على أن المقبرة التي أقيمت قبل هذا القبر كانت قد أعاقت انحدار الدرج في خط مستقيم وينتهى هذا الدرج بباب أعلاه مستدير ويحتوى القبر نفسه على حجرتين ، ووجدت في حجرتي الدفن قطع كثيرة من العاج المحفور منها قطع تصور منظر لوبيين وزنوج أسرى وبلاد مقهورة وهذه القطع تشبه التي وجدت في مقبرة الكرو وهي مقبرة شبكو ، هذا إلى قطع أخرى متنوعة نقش عليها اسم شبتكو ، ووجد له تماثيل مجيبة كالتي وجدت لشبكو . ودفن مع الملك خيوله داخل مقبرته .

الملك طهراقا ٦٩٠-٦٦٤ ق.م

تولى طهراقا عرش منف بعد شبتكو ، وعاش أغلب فترات حياته في مصر ، ومن ثم فقد تمصر نظراً لاقامته في الشمال أغلب الوقت في تانيس أو منف لمراقبة التطورات في غرب آسيا فقد كان بعيدا عن مصر العليا ، ومن ثم فقد بذل مجهودا لكي يضمن ولاء الجنوب له ، فخرج على التقاليد ولم يترك كل السلطة لكهانة أمون ، وأن تنازل عن جزء من السلطة إلى أمير طيبة وحاكم الجنوب والكاهن الرابع لأمون منتومحات ،

وكان أبوه نسى بتاح أميرا لطيبة من قبل ، أما السلطة الدينية في طيبة فكانت في يد ابنته أمون أردس الثانية التي أصبحت مساوية للملك فكان اسمها يكتب في خانة ملكية ، كما كانت تحتفل بأعيادها الثلاثينية ، وبالرغم من أن عهده قد شهد الحروب إلا تميز عهده بالمنشئات الكثيرة في مصر والنوبة ، فسيد في معبد الكرنك في وسط الفناء الأول الكبير بهو أعمدة ضخم يؤدي على الصرح الثاني ، وما يزال منها عمود في مكانه يدل على عظمة البناء ، وربما كان هو صاحب البيلون الذي لم يكتمل عند المدخل الرئيسي للمعبد ، كما شيد إلى الجنوب من المعبد الرئيسي معبدا كرس للإله بتاح وأوزير ، هذا فضلا عن عمائر أقل أهمية في معبد الكرنك ، وفي مدينة هابو حيث واصل هناك أعمال شبكو ، وهناك وثائق تشير إلى عمائر إدفو وتانيس والواحة البحرية ووادي الحمامات ومنف .

أمر بنحت معبد في النوبة في الأودية الصخرية في نباتا يشبه طرازه معبد أبو سمبل ، كما بنى معبدا صغيرا في سمنة ، كما عثر في بوهن على أجزاء منقوشة يمكن إرجاعها إليه ، ربما كانت إضافة لمعبد حتشبسوت ، وأما مقبرته الصخرية في نوري فكانت أول وأعظم بناء جنائزي هناك .

ولقد كشف جريفث عام ١٩٣٠ م على خمس لوحات كبيرة في منطقة كاوا وراء الجندل الثالث وهي مقابل بلدة دلجو الحالية ، وتحكى اللوحات أهم أعمال طهراقا في السنوات الأولى من حكمه ، وقد أقام في العام السادس من الحكم معبد أمون في تلك المنطقة على طراز المعابد المصرية ، وهناك لوحة خاصة بهذا العمل ترجع إلى العام العاشر ،

وتسجل هبات الفرعون للمعبد في أعوام حكمه الثامن والتاسع والعاشر ، بينما تسجل لوحة أخرى أنه كرس أناسا من مصر السفلى للخدمة في هذا المعبد ، ولعل أخطر الأحداث الداخلية من عهده كانت فيضان النيل ، وقد سجل مقياس النيل في الكرنك ارتفاع الفيضان إلى أقصى حدوده ، والتي زادت حتى عن الفيضان الذي حدث على أيام أوسركون الثالث ، ومنذ فترة كانت النوبة تعاني من شدة المطر ، وهذه الكارثة التي سببها الفيضان بدلها أمون للفرعون بنعم أربعة بعد الفيضان الكبير مباشرة الأولى زراعة جيدة في جميع أنحاء البلاد ، والثانية فناء للفئران والديدان ، والثالثة التخلص من شراهة الجراد ، والرابعة منع رياح الجنوب التي تتلف المحصول مما أدى إلى الحصاد الوفير .

الملك تانوت أمانى ٦٦٤-٦٥٦ ق.م

خلف طهراقا الملك تانوت أمانى والذي دفن في نورى بعد أن ترك مصر بعد استيلاء الأشوريين على طيبة في عام ٦٦٦ ق.م ، وهكذا توج تانوت أمانى ملكا على مصر والنوبة عام ٦٦٤ ق.م ، ، لم يتردد في الذهاب إلى طيبة مباشرة حيث لبى دعوة أهل الصعيد ، وجمع جيشا بمساعدة منتو محات أمير طيبة وسرعان ما استولى على منف وأغلب مصر السفلى ، غير أن هذا النصر لم يدم طويلا ، إذ سرعان ما أرسل الأشوريين قواتهم إلى مصر ، واستعادوا منف ، ففر تانوت أمانى إلى طيبة ومنها إلى نباتا حيث ظل هناك في النوبة حتى توفى ودفن في الكرو.

من أهم آثار هذا الفرعون لوحة تسمى لوحة الحلم ، وهذه اللوحة مصنوعة من الجرانيت الرمادي وأعلاها مستدير ، عثر عليها مع لوحة بعنخى ، وهذه اللوحة محفوظة الآن بالمتحف المصري . ويبلغ ارتفاعها ١,٣٢م وعرضها ٧٢ سم ، ومحتويات هذه اللوحة تشمل نهاية تاريخ العصر الكوشي في مصر ، فقد كان الوجه القبلي في هذه الفترة في يد حكام معينين من قبل ملك آشور وذلك بعد أن هزم طهراقا على يد الملك آشور بانيبال أي بعد تولي طهراقا بقليل عام ٦٦٨ ق . م ، وقد كشف اتباع آشور بانيبال في الدلتا أن المصريين كانوا يتآمرون مع طهراقا على الملك آشور بانيبال غير أن مؤامرتهم كشف أمرها ، وبعد أن أرسل نخاو أحد ملوك الدلتا إلى نينوه أسيرا عفا عنه وأعيد إلى مقر حكمه في سايس وكذلك نصب أبنه ملكا على أتريب تابعا لآشور وفي هذه الفترة من حكم آشور بانيبال مات طهراقا .

ولوحة تانوت أمانى تقص علينا سير الأحوال السياسية في مصر العليا خلال المدة الأخيرة من حكم طهراقا وخلال حكم تانوت أمانى القصير .

وقد ظهر أن تانوت أمانى كان مشتركا في حكم البلاد مع طهراقا في السنة الأخيرة من حكمه حوالي عام ٦٦٣ ق.م وهي السنة الأولى من حكم تانوت أمانى حيث توج فيها ملكا على البلاد مصر والسودان منفردا ، وقد أدعى في رؤيا رآها في أثناء نومه قبل أن يذهب إلى نباتا أنه سيستولي كذلك على الأرض الشمالية (الدلتا) التي كانت وقتئذ في يد الأشوريين ، وبعد أن عاد من نباتا أخذ في استرجاع بلاد الدلتا فاستولى على منف ، ومن المحتمل أنه ذبح نخاو أمير سايس في ساحة القتال ،

وقد جاء ذكر هذه الموقعة في لوحة تانوت أمانى ، ولكن لم يأت فيها ذكر ذبح نخاو .

المعتقدات الدينية في عصر الأسرة الخامسة والعشرين

كانت الدولة الكوشية التي قامت في بلاد كوش في مدينتي الكرو ونباتا وغيرهما من مدن السودان كان أساسها على ما يقال نزوح طائفة كهنة أمون رع الذين هاجروا من مصر إلى نباتا واعتصموا في معبدها القديم في جبل برقل المقدس الذي يرجع عهده إلى زمن ملوك الأسرة الثامنة عشرة وبخاصة التحامسة ، وقد كانت هجرتهم أو فرارهم خوفا من عدوان شيشنق الأول الذي أستولي على ملكهم في طيبة ، ونصب أبنه كاهنا أكبر هناك وبذلك هدم سلطانهم وقوض عرشهم الذي كان حصنهم الحصين طوال عهد الدولة الحديثة .

أسس هؤلاء الكهنة الفارون لهم سلطانا في إقليم نباتا ثم أخذ سلطانهم يعظم في هذه الجهة وغيرها من بلاد كوش ، وظلوا بمعزل عن مصر لم نسمع عنه شيئا حتى تمكنوا من تكوين دولة لهم فيها شأن عظيم ، وتدل شواهد الأحوال على أن حكامها كانوا يرقبون عن كثب سير الأحداث في مصر في العهد اللوبي حتى حانت الفرصة ولمسوا جانب الضعف في تلك الدولة الهرمية في مصر فانقضوا عليها وعلى رأسهم ملكهم كاشت واستولى على إقليم طيبة مقر عبادة الإله أمون رع الذي كانوا يعظمونه ويتعبدون إليه بقلوب ملؤها الورع والخشية والتقي العميق في معبد جبل برقل . ولا غرابة في ذلك فقد شاهدنا أن أفراد هذه الأسرة قد أقاموا له

المعابد والمحاريب في طول بلادهم وعرضها وبخاصة في نباتا وصنم ومروى .

وكان أول عمل قام به كاشت بعد فتح إقليم طيبة أن نصب ابنته أمنرديس متعبدة إلهية ، وبذلك استرد كاشت ما كان قد فقده كهنة أمون من سلطان في هذه البلدة . وقد لعبت المتعبدات أو زوجات أمون في طيبة دوراً هاماً في خلال هذه الأسرة التي تلتها ، وكان لهن من النفوذ والسلطان ما خول لهن حمل لقب الملك ومميزاته ، والواقع أنهن كن ملكات متوجات في إقليم طيبة وذلك بفضل ما كان لهن من مكانة دينية عظيمة .

وتدل النقوش التي تركها لنا ملوك الأسرة الكوشية على أن دولتهم في مصر قد قامت بالدعوة إلى عبادة أمون رع والتمسك بعقائدها وشعائرها يشد عضدهم في ذلك حماس رجال دولة فتية لم تكن المدنية قد أفسدت أخلاق رجالها ، وذلك في وقت كانت الحالة فيه شبه فوضى أي العهد اللوبي الذي أنتهي به الأمر أن قسمت البلاد فيه عدة مقاطعات يقوم على رأس كل واحدة منها أمير يدين بديانة معبود مقاطعته ويعده الحامي لديارها والمدافع عنها .

ولوحظ التفاف الكوشيين حول عبادة أمون رع وتمسكهم بها وعلى رأسهم مليكهم فيما نجده في الكلمات التي حث بها بعنخى جنوده على حرب الأمير تف نخت عندما أراد الأخير أن يطرد الكوشيين من مصر عنوة وكان صاحب قوة وعزم ، ولكن بعنخى تغلب عليه بما كان يتصف به هو ورجال جيشه من حماس ديني واعتقاد راسخ في قوة أمون الذي

يمنح النصر لمن يشاء لدرجة أنه أمر قواده أن يعطوا العدو اختيار الزمان والمكان لأجل الحرب وكل الفرص الملائمة وقد كان السر في ما فاه به لقائده '' عليك أن تعرف أن أمون هو الإله الذي أرسلنا فهو كفيل بالنصر .''

وكذلك أمر بعنخى جنوده عند الاقتراب من طيبة التي يقيم فيها أمون إلهة العظيم بقوله : وعندما تصلون إلى طيبة قبالة الكرنك فانزلوا إلى الماء وطهروا أنفسكم في النهر وأظهروا أنفسكم في ملابس كتان نظيفة وشدوا القوس وارموا بالسهم ولا تفخروا بأنكم أرباب القوة لأنه بدونه (أي أمون) لا تكون لشجاع قوة ، إذ قد يجعل القوى ضعيفا وبذلك تفر الكثرة أمام القلة ، وإن رجلا واحداً قد يستولي على ألف رجل ، اغسلوا أنفسكم بماء قربانه وقبلوا الأرض قبل محياه وقولوا له : امنحنا سواء السبيل حتى نستطيع أن نحارب تحت ظل سيفك القوى ، وكان بعنخى كلما فتح مدينة من مدن مصر الوسطى أو السفلى كان يسلم ما فيها من مخازن وغلال قربانا للإله أمون رع رب طيبة وإله بعنخى الأعظم وصاحب الكرنك .

وعند حصار بعنخى مدينة منف واستعصت عليه جمع مجلسه الحربي غير أنه لم يأخذ برأيه بل أتبع رأيه هو الذي كان ينحصر في الاستيلاء عليها بالهجوم متكلا في ذلك على الإله أمون الذي كان يناصره في كل المواطن ، ولذلك قال " أنى أقسم بحب أمون رع لي وبحظوة والدي أمون الذي أمون الذي أوجدني أن ذلك لابد أن يصيبها على حسب ما أمر به أمون ، وهذا ما سيقوله الناس بعد ، إن الأرض الشمالية ومقاطعات الجنوب قد فتحت له أبوابها من بعيد لأنهم لم يضعوا أمون في

قلوبهم ولم يعرفوا ما الذي أمر به فأن أمون قد جعله يظهر شهرته كما جعله يرى جبروته وسأستولي عليها كالفيضان .

كانت هذه الفترة من تاريخ مصر يمكن تشبيها بعصر انحلال ديني واضح ، كما يمكن تشبيه ملوك كوش في نهضتهم بملوك الوهابيين في خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في حماسهم الديني والتمسك بأهداب العقائد الدينية القديمة مع بعض الفروق .

كان بعنخى وأتباعه يميلون كل الميل لعبادة أمون فإنهم كانوا في الوقت نفسه يمجدون آلهة المصريين الآخرين كما كانت الحال في عصر الإمبراطورية وإن ما جاء في لوحة بعنخى قد أوضح لنا كيف كان ملوك كوش يتبعون بكل دقة شعائر الدين المصري، فقد عمل بعنخى كل ما في وسعه ليظهر تمسكه بالعقيدة الشمسية القديمة في هليوبوليس وأنه بدون اتباعها ومراعاة ما جاء فيها لن يكون ملكا على مصر ، كما وجدناه في مشهد آخر من مشاهد هذه اللوحة قد رفض التسليم التام لأولئك الأمراء المصريين الأنجاس الذين كانوا يسمحون لأنفسهم بأكل السمك الذي كان في عقيدته محرما .

اتخذ بعنخى سياسة رشيدة أراد بها أن يسيطر على نفوس الشعب المصري فكان يزور معابد الآلهة المحليين في كل بلدة يخضعها ويقدم للآلهة القرابين في كل الأحوال وقد فعل ذلك في الأشمونين وأهناسيا والفيوم وسائر مدن المقاطعات الأخرى فضرب بذلك مثالا رائعا في السماحة وحسن السياسة .

وصف بعنخى في اللوحة التي تركها بأنه استمد قوته من قوة الإله ست الذي كان يعبد في بلدة بر سخم خبر رع الواقعة بجوار اللاهون الحالية ، ونفهم من ذلك أن الإله ست كان ينظر إليه بأنه إله شديد القوى ويشبه به الملوك لا إله شر وحسب ، كذلك نشاهد في نفس اللوحة أن تف نخت بعد هزيمته عندما أراد أن يشير إلى قوة بعنخى وشدة بطشه وصفه بقوله : حقا أنك الإله ست المسيطر على الأراضي الجنوبية وفي آن واحد الإله منتو ذلك الثور صاحب الساعد القوى ، وهذا يؤكد أن الإله ست كان وقتئذ مثله كمثل الإله منتو إله الحرب العظيم لا إله شر فقط .

عثر على لوحة للملك بعنخى في معبده العظيم بجبل برقل وقد مثل مع ثالوثه ، وتدل نقوش هذه اللوحة على أن بعنخى كان في حرج عند بداية ملكه وأن أمون وثالوثه قد ثبتاه على العرش .

عندما أعتلي شبكو العرش اتخذ مقر حكمه بمصر في مدينة طيبة بدلا من نباتا ، وأهتم بالآثار الدينية القائمة في طيبة باسم والده أمون فقد أصلح البوابة الرابعة بالكرنك وزينها بالذهب والفضة وذلك اعترافا منه بالجميل لوالده أمون الذي أمده بنصر من عنده على الأعداء ، وكذلك أقام آثاراً له بمعبد الكوة .

لما أستقر الملك طهراقا في مصر والسودان أخذ أولا في إصلاح المعابد القديمة وإقامة أخرى جديدة ، وكذلك زخرف طهراقا معبده في الكوة بصور آلهة نوبية فنقش صورة الآلهة عنقت إحدى آلهة ثالوث الشلال بشكلين مختلفين فكان تجديدا طريفا .

مثل الإله أمون في معبد الكوة في المحراب مع الإلهتين ساتيس وعنقت مكونا معهما ثالوثا ، وبذلك يكون قد حل محل الإله خنوم الذي كان يمثل في صورة كبش وكان الإله الحارس لإقليم الشلال وهاتان الإلهتان هما زوجتاه ، وقد كان الإله خنوم منذ زمن بعيد الإله الحارس للمستعمرات المصرية التي في أقصى الجنوب ، ولا نزاع في أن التغير هو من فعل كهنة أمون الذين كانوا يقصدون من وراء ذلك سيادة إلههم العظيم أمون ، وأقام طهراقا محرابا صغيرا أو مقصورة للإله أمون في كل من معبدي الكوة وصنم ، وكذلك أهتم طهراقا بمدينة منف وإلهها بتاح فقد توج طهراقا فيها ملكا على البلاد .

من أهم التجديدات الدينية الموجودة في معبد جبل برقل الكبير إعادة عبادة الإله ددون الذي ينسب إلى أصل نوبي بل هو الإله القومي لبلاد النوبة فقد جاء ذكره في متون الأهرام بوصفه إله النوبة ، وذكر هذا الإله في النقوش المصرية القديمة حتى عهد الملك سيتي الأول في بلاد النوبة حتى جاء عهد طهراقا فذكر بين الآلهة في معبد جبل برقل .

كانت الآلهة المصرية تعبد في بلاد النوبة بصورة بارزة وبخاصة الإله أمون الذي كان يظهر بوصفه الإله الرئيسي في العواصم الدينية الأربع بصور مختلفة وهي نباتا وبنوبس وصنم الذي ظهر فيها أمون بوصفه ثور النوبة وأخيرا الكوة .

تدل الآثار الباقية على أن طهراقا قد عنى عناية خاصة بعبادة الإله أوزير فأقام له المحاريب في معبد الكرنك فلدينا معبد أوزير نب زت أي أوزير رب الأبدية ، كما أقام مقصورة لنفس هذا الإله في نفس المعبد

وأطلق عليها اسم مقصورة أوزير رب الجبانة ، وقد آزره في إقامة هذين المعبدين المتعبدات الإلهيات اللائى كن قد اتخذن طيبة عاصمة لملكهن .

أما عن إقامة الشعائر في هذا العهد فكانت تقام في معابد أقيمت على غرار معابد الدولة الحديثة غير أنها زخرفت ببعض المناظر المستعارة من مناظر الدولة القديمة ، وذلك لأن ملوك هذه الأسرة كانوا قد أرادوا إحياء مجد البلاد القديم من كل الوجوه ، ولكن المناظر الهامة الخاصة بإقامة الشعائر الدينية لا تختلف كثيرا عن مناظر الدولة الحديثة في جملتها من حيث الشكل .

الحالة الاقتصادية والثقافية في عهد الأسرة الخامسة والعشرين

تعد لوحة بعنخى أكبر مصدر لدينا عن حالة البلاد المصرية خلال الفتح الكوشي للبلاد ، كما أن جبانة الكرو وجبانة نورى تعدان من أهم المصادر التي يمكن استخلاص شيء عما كانت عليه البلاد الكوشية في تلك الفترة من رخاء ورغد في العيش وتقدم في الصناعات والفنون .

في هذه اللوحة تمثلت البلاد المصرية في عهد بعنخى في صورة بلاد تزخر بالغنى والثراء ولكن بعد الدراسة نجد أن هذه الثروة كانت منحصرة في طائفة خاصة من أفراد الشعب وهم حكام الإقطاع ، كما هي العادة في كل بلد يسود فيها الحكم الإقطاعي ، ونفهم من لوحة بعنخى ان البلاد كانت مقسمة إقطاعيات عدة ، على رأس كل منها أمير من الأمراء اللوبيين الذين كانوا مسيطرين على البلاد أكثر من مائتي عام ، فكان معظم ثروة البلاد في أيديهم كما كانوا هم المتصرفين في أرزاق الشعب الذي كانوا يعتبر أفراده عبيدا لهم ، والواقع أن كل واحد من هؤلاء الأمراء كان يعد نفسه ملكا وخدمه وحشمه وحكومته وماليته .

أما عن مقدار ثروة تف نخت الذي قاوم بعنخى مقاومة شرسة حينما كان يتحدث لجنوده ليدافعوا عن منف فيقول : " تأملوا إن منف قد اكتظت بالجنود من خيرة من في أرض الشمال ومخازنها تفيض بالشعير والبر وبكل أنواع الأسلحة ، وأنها محصنة بجدار ، ويوجد فيها حظائر الماشية مملوءة بالثيران والخزانة مجهزة بكل شيء من ذهب وفضة ونحاس وملابس وبخور وشهد ."

ولوحظ من هذا البيان دلالة واضحة على تقدم الزراعة والصناعة وتربية الماشية في البلاد ، كما أن جيش كل مقاطعة كان مجهزا تماما بكل ما يلزمه من عدة وعتاد .

قبل بعنخى رجاء بدو باست حاكم أتريب (بنها الحالية) لزيارة بلده بعد أن أغراه بما لديه من ثراء فقد قال له : " إن بيت مالي مفتوح لك فابسط يدك على أملاك والدي ، وأني سأقدم لك ذهبا بقدر ما يرغب فيه قلبك ، أما الفيروز فأنه سيكون أمامك ، وكذلك نفهم من ذلك أن تلك الثروة أو على الأقل جزءا منها كانت موروثة ، وعندما دخل بعنخى قصر هذا الأمير قدم له فضة وذهبا وفيروزا بمقدار عظيم من كل شيء وملابس من الكتان الملكي المتنوع وسررا محلاة بالكتان الجميل والعطور وجيادا من أحسن ما في اصطبله . "

أما عن الحرف والصناعات لم تكن قد ماتت في مصر في تلك الفترة من تاريخها بل كانت مزدهرة مستمرة منذ أقدم العصور ، فلوحظ أن الملك طهراقا عندما أراد أن يقيم المباني الدينية في بلاد النوبة وبخاصة في معبدي الكوة وصنم ، أحضر العمال والفنانين وأصحاب الحرف من منف ومن إنحاء القطر والبلاد المجاورة ، وجاء في وصف معبد الكوة الذي أقامه طهراقا في الكوة ما فيه الكفاية للدلالة على ما كانت عليه بلاد السودان وقتئذ من ثراء يفوق الوصف ، هذا بالإضافة إلى ما حسبه هذا الفرعون وأهداه لهذا المعبد من عقار ومتاع وبخاصة أن بلاد النوبة والسودان كانا المصدر الرئيسي للذهب .

تذكر الوثائق الحالة التي كانت عليها المملكة الكوشية من رخاء وعزة على الرغم مما أصابها من أضرار فادحة من جراء من جراء الحروب الطاحنة التي وقعت بينها وبين بلاد آشور ، ومن تلك الوثائق الوثيقة التي دونها منتومحات على جدران مقصورة طهراقا التي أقامها

في معبد الإلهة موت بالكرنك ، وفي الحقيقة أن الإصلاحات التي قام بها هذا الأمير العظيم الذي كان يعد أقوى وأعظم شخصية في البلاد في عهد الأسرة الخامسة والعشرين تدل دلالة واضحة على أن البلاد المصرية على الرغم من التخريب والدمار الذي لحقها في عهد الأشوريين كانت لا تزال تفيض بالثراء وأن هذا الغزو لم يؤثر فيها تأثيرا اقتصاديا أو فنيا بصورة حاسمة ، فنجد أنه أحضر خشب الأرز من بلاد لبنان لبناء السفن الإلهية ، كما طهر كل معابد الآلهة في كل المقاطعات على حسب القواعد المتبعة ، كذلك الإصلاحات التي قام بها في طيبة ، بالإضافة إلى أعاده أوقاف وقرابين كل إله ، كما ملأ مخازن الغلال ، وجعل السفن التي تجلب الخيرات لأمون تذهب وتغدو في أوقاتها المعلومة ، وجعل كل كاهن يقوم بعمله ، بالإضافة إلى أنه تناول الإصلاحات في المعابد بكل آلهة الكرنك فلم يترك واحدة منها إلا أصلحها وأعاد دخلها ، وكان كل ذلك كان يتطلب أموالا طائلة لا يمكن لبلد فقير أن يقوم بأعبائها ، وتمت هذه الإصلاحات بفضل وجود طائفة كبيرة من أصحاب الحرف والفنانين الذين قاموا بإصلاح ما أفسده الأشوريين من تماثيل ولوحات وأدوات عبادة ، وهؤلاء هم الذين نزح جزء منهم لإقامة المعابد في السودان ، وتدل الأدوات الفاخرة التي وجدت في جبانة الكرو وجبانة نورى على مهارة في الفن والثراء ، بالإضافة على أن خيلهم التي كانت تدفن بجوارهم قد جهزت بعددها وسرجها ولجمها وتعاويذها بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ مصر ، وهذا دليل قاطع على حبهم للخيل وتربيتها والعناية بها فقد وجدت صورة من الصور التي تركها طهراقا أن عنايتهم ورفقهم بالخيل كانت تفوق الوصف فقد وجدت صورة جواد على رأسه قبعة تقيه من شر حرارة الصيف .

علاقة مصر بمملكة أشور

في بداية الأمر كانت مملكة آشور مدينة كسائر المدن البابلية العظيمة لها حكومة قائمة بذاتها ، ثم أخذت تقوى شيئا فشيئا ، ولم تلبث أن ضمت إليها المدن المجاورة ، ثم امتدت فتوحاتها حتى احتوت إربل ونينوه ، وكانت مدينة آشور حصنا طبيعيا ومأوى قويا لمقاومة المغيرين عليها بما كان لديهم من آلات حرب بدائية .

امتدت حدود بلاد آشور إلى شمال بابل وتبتدئ بسهل مسو بوتاميا المرتفع فوق ملتقى نهر أدهم ونهر دجلة وتحتل الجزء الأوسط من حوض هذا النهر حتى كرنيب ، ويفصلها عن الشرق عن بلاد الكاسيين مجرى نهر الزاب وجبال زجروس ، وتحد من الشمال بجبل مسيوس ، أما في الغرب فكانت حدودها لا تصل إلى نهر الخابور أو الفرات ، وهي على شكل مثلث تقريبا ، ويلاحظ أن هذه البلاد كانت تنقصها الوحدة الجغرافية التي نجدها في بلاد بابل .

من أقدم الآثار الآشورية هي تلك الوثائق التي عثر عليها في حفائر مدينة آشور العاصمة الأولى للملكة الآشورية التي وجدت أسفل معبد الإلهة عشتار وهي قطع محفورة تشبه النقوش السومرية ، وأهمها تمثال رجل جالس وآخر واقفا بعينين مجوفتين ورأس حليق أما ذقنه فكان مغطى بالشعر وهذا على العكس من التماثيل السومرية .

أول ذكر لاسم آشور كان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وكان في عهد حكم الملك تحتمس الثالث إذ نجده بعد أن عاد من حملته المظفرة

على بلاد النهرين في السنة الرابعة والعشرين من حكمه إلى مصر كان يستقبل رسولا من آشور يحمل إليه الهدايا ، ويحتمل أن الملك الآشوري الذي كان يحكم وقتئذ هو الملك أشير رابى .

الوثائق التي كشف عنها في بوغاز كوى وهي التي أقيمت على أنقاض عاصمة بلاد خيتا القديمة تمدنا بمعلومات قيمة في هذا الموضوع ويتلخص الموقف كالأتي كان أمنحتب الثالث يحكم وقتئذ مصر وكان ساحل سوريا تحت سيطرته وكان ينقسم إلى إقليمين الإقليم الأول وهو الجنوبي كان يشمل بلاد كنعان والإقليم الثاني وهو الشمالي ويحتوى على بلاد عامور وكان يجاور بلاد عامور مملكة خيتا التي امتدت حدودها وقتئذ في آسيا الصغرى إلى ما بعد جبال توروس ومن الشرق امتدت على نهر الفرات حيث اتصلت بمملكة متنى التي كانت تحدها من الشرق بلاد آشور المسيطرة عليها .

أما عن الغزو الآشوري لمصر فكان في فترة الملك شبتكو الذي كان ينظم الأمور لمقاومة الأشوريين حيث كانت مصر اضطرت إلى ترك سياسة اللامبالاة الخارجية التي سادت على أيام سلفه ، وربما كان ذلك بسبب قوة آشور المتزايدة في غرب آسيا ، ولهذا فلقد استدعى شبتكو أخواته من نباتا ، فأتوا ومعهم قوات ، وأما بالنسبة لآشور فقد مات سرجون الثاني وخلفه ولده سنحريب الذي حكم من ٧٠٥وحتى ٦٨١ ق.م وكانت تلك اللحظة هي الإشارة للثورة التي انتشرت كالنار بين الولايات الموالية لآشور ، وفي هذه الأثناء تدخل مردوخ بلادان ملك بابل الذي كان يقود الثورة في الأراضي الغربية ، بطريقة أكثر حزما في السياسة اليهودية ، ونظرا لشفاء حزقيا ملك يهوذا من مرضه الخطير ، وللثقة في

التخلص من قبضة الأشوريين ، فقد تم التحالف بين بابل ويهوذا ، واشترك فيه الأعراب وآخرون .

وأما عن مصر فقد كان لها في أورشليم حزب قوى يبغي التحالف معها ويطلب الحماية منها ، وقد انضم إليه حزقيا ، ومن ثم فقد طلب من مصر التدخل في شئون فلسطين لتدعيم الثائرين على النير الآشوري ، وهكذا تكون حلف يضم فينيقيا وفلسطين ومؤاب وأدوم وعمون ويهوذا ، مع بعض القبائل البدوية ، وفوق الجميع كانت مصر ، وهكذا انتهزت مصر فرصة قيام حكم جديد في أشور لإثارة المتاعب في طريقه ، بغية إعادة نفوذها في فلسطين ومن ثم فقد تجددت العداوة الكامنة بين القوتين الكبيرتين مصر وأشور في عهد سنحريب وبدأ الجيش الأشوري في غزو فلسطين في عام ٧٠١ ق.م ، وإخضاع مدنها الواحدة تلو الأخرى ، وفي هذا الوقت ظهرت قوة مصرية في الجنوب الغربي من فلسطين قرب التكية على بعد عشرة ميلا شمال شرق أشدود ، وإن كان من غير المحتمل أن المصريين قد استخدموا قوات كبيرة .

كانت هذه القوات تحت قيادة طهراقا ، وأن سنحريب قد وصف منافسيه بأنهم ملوك مصر أي حكام المدن ، وربما كانوا من أمراء الدلتا ، وفي نفس الوقت بدأ يجمع قواته التي كانت موزعة بين حصار أورشليم ولبنه ، ولكن فجأة حدث ما جعل سنحريب يعود إلى نينوى ، وقد اختلفت الآراء في أسباب عودة سنحريب المفاجئة فأرجعتها التوراة إلى قدرة يهوه ، حيث خرج ملاك الرب وضرب من جيش أشور ١٨٥ ألف ، وأرجعها هيرودوت إلى قدرة الإله المصري بتاح حيث سلط جحافل من الفئران فأكلت قسي الغزاة وجعابهم وحمائل دروعهم ، حتى أصبحوا عزلا من السلاح ، فهربوا بعد أن سقط الكثير منهم .

بدأ طهراقا ينظم المقاومة ضد الأشوريين ويثير المتاعب في طريقهم في غرب آسيا ، ويتعاون مع أمرائها ، وبخاصة أمراء صور وصيدا ، في صد الأشوريين ، وكان من الواضح منذ زمن بعيد أنه يجب الوصول إلى ما يحسم الأمور بين العاهلين المصري والأشوري اللذين كانا يتساويان في العناد ، وقد بلغ الأمر مداه حين جند اسرحدون كل إمكانات إمبراطوريته لمهاجمة مصر نفسها في عام ٦٧٧ ق.م ، ولكنه لقى هزيمة بعد معركة دموية ، كما روت المصادر البابلية ، ونجت مصر من خطر الغزو الأشوري .

ظهر اسرحدون فجأة في سورية عام ٦٧١ ق.م فعاقب ملك صور على انضمامه إلى مصر ثم سرعان ما تقدم نحو مصر عن طريق سيناء بمساعدة بدو الصحراء الذين أمدوه بآلاف الجمال لنقل المؤن والمياه ، وكانوا إدلاءه في السير حتى وصل إلى وادي طميلات ، ومنها إلى منف حيث قاتل في معارك دموية ضد طهراقا ونجحت الجيوش الأشورية في إسقاط منف ثم دمرتها وأحرقتها ، وسيطرت على مناطق الدلتا ، واضطر طهراقا إلى الاتجاه نحو الجنوب ، وظن اسرحدون أن البلاد قد دانت له ، وأنه أصبح ملكا على الدلتا والصعيد وكوش ، ثم وزع الأمراء الذين رأوا في انتصار الغازي الأشوري فرصتهم لاسترداد حريتهم على حساب طهراقا ، فعين نخاو الأول ملكا على سايس ومنف ، وأمن الملوك الصغار في مصر السفلى والوسطى بل لقد بلغ من ثقته بنصره أنه أمر بتغيير أسماء مدن كثيرة إلى أسماء أشورية ، نسبها إلى آلهة بلاده من أمثال أشور وسين ومردوك وعشتار ، وصور رجاله طهراقا جاثيا أمامه مخزوما من أنفه بحبل عفوه ، على نصب أقاموها في أنحاء دولته ، مع

أن طهراقا لم يقع في قبضته إطلاقا ولم يهادنه أبدا ، ولم يكتف بذلك وإنما طمع في أن يجعل المهارة المصرية طوع يمينه في آشور نفسها ، فأمر بترحيل جماعات من الأطباء والبيطريين والسحرة والصاغة والكتبة والموسيقيين ،بل ومن الحذائيين وصانعي الجعة والخبازين ومن لف لهم إلى عاصمته .

وفي أخريات الربع الأول من القرن السابع ق.م ،وقعت مصر (السفلى والوسطى) ، ولأول مرة في تاريخها المجيد ، للغزو الأجنبي ، إذا سلمنا بأن وجود الهكسوس في مصر كان تسللا ولم يكن غزوا ، ولقيت كنانة الله من الآشوريين أشد أنواع القسوة والهمجية ، وهنا أخذت كلمة القوم تتحد ، وأهدافهم تتقابل ، ونسي المصريون أحقادهم الشخصية وتذكروا أمرا واحد هو أن عنصرا أجنبيا قد غزا بلادهم واتصل أمراء الدلتا بالملك طهراقا في طيبة ، طالبين منه أن يزحف شمالا ، وسوف يجد في كل مكان من الذخيرة ، والإمكانات المادية والبشرية ، ما يشد به ساعده ويلبى طهراقا النداء ويسارع إلى الشمال ليخلص الدلتا من الاستعباد ، ويسترجع منف ويعزل الأمراء الذين خضعوا للملك الأشوري ويجن جنون اسرحدون ويخرج في حملة جديدة في عام ٦٦٩ ق.م ، بعد أن احتجزته مشاكل وراثة العرش عاما عقب عودته إلى مصر ،واعدم في هذا العام كثيرا من موظفيه وأخيرا مات (حران) وهو في طريقه إلى مصر .

وخلف (اشور بانيال) (٦٦٩- ٦٢٦ ق.م) أباه اسرحدون ، وفي عام ٦٢٦/٦٦٧ ق.م ،جمع جيشا من الأشوريين والسوريين وخرج به إلى ارض مصر ، حيث هاجمها برا وبحرا ،وسرعان ما ألتقي مع جيوش

طهراقا في معركة مكشوفة رهيبة تحقق النصر له فيها وانسحب طهراقا إلى الجنوب مع قلة من قواته ويتابع الأشوريين طهراقا إلى طيبة ، معقل القومية المصرية العتيدة ورغم دفاعها الشجاع المستميت استولى الأشوريون عليها ، وهكذا تم احتلال طيبة .

ولأول مرة في التاريخ ، وان كان ذلك حين ، وفر طهراقا إلى نباتا ، ولم يتبعه أشور بانيبال إلى هناك وانما توقف عند طيبة ، ومع ذلك فلم يسطع الأشوريون البقاء في الصعيد وفضلوا البقاء في الدلتا وهنا بدأت الحركات السرية تنتشر في جميع البلاد ، وما لبث الأمراء المصريون أن فاقوا لأنفسهم .

للأسف ان أمر الثورة قد كشف ، وأعمل الآشوريون السيف في مدن هؤلاء الأمراء الثائرين وأرسلو زعماء الثورة إلى نينوى مقيدين بالحديد ، حيث أهلكوا جميعا ، ولم يستثن منهم غير (نخاو الأول) ربما لأنه نجح في كسب ود الأشوريين ، وسليل أكبر بيت منافس لطهراقا ، ومن ثم فقد أبقوا عليه ، وقربه إليه أشور بانيبال وخلع عليه وسلمه عددا من أختامه الذهبية وأهداه هدايا كثيرة مرقومة باسمه ، وعين ولده (بسماتيك) أميرا على أتريب ، بل وقد أعطى هذا الأخير اسما آشوريا ، وعلى أي حال فلقد هدأت الدلتا قليلا ، وإما الصعيد فقد أخذ يغلى كالمرجل ويبحث عن فرصة ليقوم قومة رجل واحد ضد المستعمر ، ولكن التوجيه كان ينقصه فولى وجهه شطر الجنوب ، وكان طهراقا قد مات ، وهو الذي كان يعتبره الكهنة في منف وطيبة وكل الجزء الجنوبي من مصر العليا ، الحاكم الشرعي للبلاد .

وجلس تانوت أمانى على عرش مصر والنوبة ومن ثم فقد لبى دعوة أهل الصعيد ، وجمع جيشا اتجه به نحو الشمال ، وعندما وصل إلى طيبة قابله الأهلون بالتهليل والترحاب على ضفتي النيل ، وعلى طول الطريق ، ونظروا إليه إلى المنتقد من الاحتلال الأشوري ، وهكذا سار تانوت أمانى (٦٦٤- ٦٥٦ ق .م) نحو منف ، فحاصر الحامية الأشورية فيها وسيطر عليها ، وأدب الأمراء الذين استكانوا لحكم الآشوريين ومن المؤسف أنه اعتقد بعد ذلك ان الدلتا قد دانت له ، وبقى في منف ينتظر وصول أمرائها ليجددوا له البيعة .

وطبقا لما جاء في لوحة الحلم التي عثر عليها في جبل البرقل ، والمحفوظة الآن بالمتحف المصري فان رسالته جاءت وفيها ان الأمراء مستعدون على أن يقوموا على خدمته وحين سأل ان كانوا يريدون أن يحاربوا أوهم يرغبون في أن يدخلوا القصر حيث أنبأهم الملك أن أمون ،نباتا قد وعده بالنصر ، وكان يتحدث في الإجابة عليه أمير بر_سبد على مقربة من صفط الحنة الحالية لأن نخاو الأول قد مات وتعهد الجميع أن يخدموه بإخلاص ، وبعد ان دعاهم إلى مائدته سمح لهم بالعودة إلى مدنهم ليمارسوا أعمالهم الزراعية وعندئذ تفرقوا ثم ينقطع النص فجأة .

وسرعان ما علم الملك الأشوري بما حدث ، ومن ثم فقد أرسل في عام٦٦٤/٦٦٢ ق.م ،جيشا إلى مصر ، طوق به تانوت أمانى في منف مما اضطره إلى الهروب إلى طيبة حيث تبعه الآشوريون ودخلوا المدينة وهدموها ، على الرغم من مقاومة أهلها الصعايدة القوية وشجاعة أميرها منتومحات ، واضطر تانوت أمانى إلى ان يفر إلى نباتا وكان هذا آخر ما

نسمع عنه في النصوص المسمارية ويزعم آشور بانيبال أنه غزا طيبة غزوا شاملا وانه حمل معه إلى نينوى جزية ضخمة .

وقد قام الآشوريون ربما بأكبر عملية سلب ونهب في تاريخ المدينة القديم ، وربما كانوا أول من سرق المسلات المصرية ، والتي تزين الآن كثيرا من ميادين أكبر المدن الأوربية ومنها مسلتان يغطيهما البرونز الذهب ، كما يبدو أن تماثيل الفراعنة لم تسلم كذلك من عبث الأشوريين حيث يسجل الملك الأشوري على نفسه انه اغتصب ٦٥ تمثالا ،وسجل عليها انتصاراته ، وربما نقلها إلي بلده كذلك .

أن طيبة ظلت كبرى عواصمه السياسية والدينية طيلة عدة قرون ، وان عمائرها الدينية كانت وما تزال اكبر من ان تدانى ، وهكذا كان تدميرها واحتلالها عنوة جعل النبي. العبراني ناحوم يتخذ منه ، بعد نصف قرن العبرة على ان نينوى الأشورية لن تكون أعز من طيبة المصرية المنيعة برجالها ، والحصينة بمياهها .

الفصل الخامس

عصر النهضة

الأسرة السادسة والعشرون

٦٦٤-٥٢٥ ق.م

عصر النهضة

الأسرة السادسة والعشرون

أن الجنود المرتزقة من اللوبيين الذين كانوا يعملون في جيش ملوك الأسرة الواحدة والعشرين قد منحوا أحد قوادهم وهو شيشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين ملك مصر . والواقع أن الجيش المصري منذ نهاية الأسرة العشرين كان مؤلفا فعلا من الجنود اللوبيين المرتزقة الذين كانوا يطيعون رؤساءهم طاعة عمياء ، وقد جاء ذلك على ما يظهر تمهيدا لإحلال شيشنق أحد عظماء قواد هؤلاء الجنود المرتزقة محل آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين. وقد كان الضعف المتناهي الذي وصل إليه نفوذ ملوك هذه الأسرة حافزا قويا أغرى هؤلاء الجنود المرتزقة الذين قضت عليهم الأحوال بالفراغ وعدم الصبر بالسيطرة على البلاد ، أو بشن الغازات في خارجها . وكان نتيجة ذلك أن آل ملك مصر إلى رئيس هؤلاء الأجناد فان جموعهم المنبثة في أنحاء البلاد التي كان من الصعب توحيدها لم يجعل لهم مطمحا إلا التمتع في وادي النيل الخصيب باستقلال سياسي تام بقدر المستطاع . ولم يكن في قدرة الملك الأعلى ان يقاوم هذه الجماعة لقوتها بالإضافة إلى ذلك الضعف الذي أصاب صفوف كهنة طيبة ، ومن المحتمل أن في هذه الفترة كان جزء كبير من كهنة آمون قد نفوا أنفسهم عن طيب خاطر إلى بلاد النوبة العليا، وبذلك كان في مقدرتهم دون أية صعوبة ان يستولوا على مراكز القيادة المحلية ، وكان ملوك الأسرة الواحدة والعشرين قد وزعوا فعلا قطعا من الأرض على الجنود اللوبيين ،ولكن من الواضح فعلا ان الجنود كانوا قد استتبوا

فعلا على حسب الإدارة الجديدة في قطاعات كبيرة المساحة أغنى بكثير ، وتدل ظواهر الأحوال على أنه في خلال القرنين من ٩٥٠ –٧٥٠ ق.م قد بقيت الأسرتان الثانية والعشرون والثالثة والعشرون على عرش الملك لسببين :

أولهما : أن رؤساء التابعين لهما من اللوبيين كانوا يطيعون حكام المقاطعات وكان مجرد مظهرهم كفيلا بحفظ التوازن بين قوى عدة متكافئة يعارض بعضها بعضا .

ثانيهما : أن جيران مصر من أمم العالم لم يكونوا يؤلفون خطرا عليها وكانت البلاد الأجنبية التي يخشى بأسها وقتئذ هي دولة العبرانيين غير أنها قد قسمت بعد عهد سليمان إلى قسمين متناحرين .

وضع شيشنق الأول نظام يشابه كثيرا النظام الإقطاعي في القرون الوسطى ، كان لا يلتئم إلا قليلا مع دولة نفس تكوينها الجغرافي لا يمكن أن ينسجم إلا مع نظام ثابت غاية في التقدم من حيث الإدارة ، والذين كانوا على عرش الملك يعرفون قوة شخصياتهم وفرض إرادتهم فأن سلطانهم كانت تحترم في كل مكان ، ولكن عندما يعتلى عرش بوبسطة في ذلك الوقت ملوك ضعفاء أو عاجزون عن إدارة حكومة البلاد ، وكانت الفوضى تسرى في جسم البلاد وتثبت فيها أقدامها . والواقع أن البلاد المصرية كانت تنوء بعبء الانقسام وقتئذ ، فمنذ بداية القرن الحادي عشر قبل الميلاد كانت تحكم أرض الكنانة أسرتان ، إحداهما في الوجه القبلي والأخرى في الدلتا . وحوالي عام ٧٥٠ ق.م شاهدنا مصر العليا ومصر السفلى مقسمتين بين ثلاث أو أربع أسرات ، في حين أن الوجه

القبلي كان تحت حكم الكوشيين ، وفي تلك الفترة رأى أمير شجاع من أبناء مصر أن الفرصة مواتية لتحقيق مطامحه الشخصية والقومية وذلك بجمع شمل مصر كلها وتوحيدها تحت حكمه .

أصل الأسرة السادسة والعشرين

تذكر الوثائق أن تف نخت أمير سايس كان من أصل لوبي كما حدثتنا بذلك لوحة بعنخى ، وإذا كنا لا نعرف شيئا عن أسرته ولا حالة أملاكه عندما أصبح سيدا مطاعا في الدلتا ومصر الوسطى حوالي عام ٧٣٠ ق.م ، فان المصادر التاريخية لا تعوزنا كثيرا في تاريخ كفاحه المجيد لاسترداد استقلال مصر من يد بعنخى . ويدل ما كتبه عدوه بعنخى على أنه كان رئيسا صاحب نشاط ومشاريع تؤكد طموحه ، إذ قد أصبح في زمن قصير ملكا مطاعا في كل أنحاء الدلتا الشرقية من أول شواطئ البحر الأبيض حتى منف وقد أفاد من ضعف حكام المقاطعات المجاورين لها وانقسام بعضهم على بعض ، ففرض قوانينه وأنظمته الحكومية على الأسرات التي كانت تحكم في وسط الدلتا وغربها ، وقد اعترفوا دون أية صعوبة بسلطانه ، وقدموا له المساعدة والعون عندما قرر الشروع في إخضاع الأمراء اللوبيين في مصر الوسطى لسلطانه تمهيدا لطرد الكوشيين من مصر العليا .

وفي الحقيقة أن تف نخت لم يقابل وقتئذ إلا مقاومة ضئيلة في تأمين قوته على شاطئ النيل حتى مشارف بنى حسن . ولم يقف في وجهه عقبات في تحقيق مشاريعه إلا مدينتين وهما أهناسيا المدينة التي كان

مضطر أن يضرب عليها حصارا قويا ثم مدينة الأشمونين التي لم تلبث ان سلمت نفسها وانضمت إلى لوائه .

والواقع ان الكوشيين كانوا في تلك الفترة قد استولوا على كل الوجه القبلي ووضعوا فيه من الجنود الكوشيين على النيل بعد طيبة وكانت مدينة هيراكليو بوليس (أهناسيا المدينة) تعد الحد الشمالي لنفوذهم ، وقد فزع بعنخى بحصار المدينة وأرسل جيشا لوقف زحف تف نخت نحو الجنوب وحاصرا أهناسيا المدينة غير ان جنوده قد أهملوا متابعة جنود الأمير سايس الذين كانوا في طريقهم للاستيلاء على الأشمونين .

وقد أغضب ذلك بعنخى وصمم على قيادة جيشه بنفسه ، ولم يلبث أن أخضع أمير الأشمونين قبل ان ينحدر في النيل إلى منف التي استولى عليها بهجوم مفاجئ . ورغم الجهود التي بذلها تف نخت فان الجيش الكوشي قد استمر في التقدم في ربوع الدلتا . ولما كان أمير سايس موطد العزم على المقاومة فانه احتمى في أماكن الدلتا الوعرة المسالك غير ان حلفائه انفضوا من حوله الواحد تلو الآخر مما جعله يقدم خضوعه للملك بعنخى الذي قبله بكرم وعلى ذلك عقد له تف نخت يمين الولاء والطاعة وكل ما نعلمه أن بعنخى بعد ان تم فتح مصر كلها عاد إلى نباتا عاصمة ملكه الواقعة بالقرب من الشلال الرابع .

وقد أظهرت حملة بعنخى الضعف المتناهي الذي وصل إليه نسل شيشنق الأول في أواخر أيامه فقد كانوا لا يعرفون كيف ينظمون المقاومة لكي يستولوا من جديد على الحكم للبلاد وعلى أية حال فقد تسلط تف نخت على الوجه البحري بعد ارتداد الكوشيين إلى نباتا كما كان يسيطر عليه من قبل .

وهكذا أسست في الدلتا أسرة ثالثة (لوبية) تناسلت من أمراء سايس وقد قضت الأحداث التاريخية ان يواجه إخلاف الفاتحين اللوبيين غزوات عدة لأرض الكنانة من كوشيين وآشوريين وفرس .

خلف بو خوريس والده تف نخت دون معارضة وقد أتبع نهج تف نخت (مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين ومن نسله ملوك الأسرة السادسة والعشرين) وعلى الرغم من ان رقعة ملك بو خوريس كانت ضيقة المساحة إلا أنه كان واحد من المشرعين العظام الذين ظهروا في مصر القديمة وكانت الدلتا تتمتع بسلام ورخاء جعلته يلعب دورا هاما خارج بلاده .

والواقع ان الملك الصاوي كان قلقه من تقدم الآشوريين الذين كانوا قد أضاعوا النفوذ المصري الذي أعاده شيشنق الأول في فلسطين وقد خاف وقوع غزو مصر على يد جنود سرجون الثاني . وقد اتبع بو خوريس سياسة والده الواقعية التي لم يتردد في الاتحاد مع إسرائيل على آشور ، وقد اهتم بتكوين حلف من أمراء فلسطين وصيدا وأمده بمساعدة عسكرية ، غير أن جيش الحلف هزم هزيمة نكراء ، وأرخت النجدة المصرية لساقيها العنان مولية الأدبار . وقد كانت هذه الخيبة الحربية سببا في ان نفض بو خوريس يده من كل تدخل في الشرق وعلى أية حال فانه كان مهددا بغزو كوشية جديدة .

وقد أعد بو خوريس نفسه ليحارب داخل بلاده إذا أغار عليه العدو غير أن الحرب دارت دائرتها عليه ولم يكن ملك كوش وقتئذ وهو شبكو

رحيما كما كان سلفه بعنخى فقد أخذ بو خوريس أسيرا وحرقه حيا كما قيل .ويمكن تفسير كره شبكو للملك بو خوريس بان بعنخى كان قد أعاد تف نخت إلى عرش سايس وان ابنه قد أقترف خيانة حقيقية وتدل شواهد الأحوال على ان المملكة الصاوية قد أقيمت دون موافقة الكوشيين ولكن لما كان الملك شبكو يشعر بالخطر الآشوري فأنه رأى الصواب ان يسمح بوجود أسرة لوبية ثالثة في سايس . واتخذ أخلاف بو خوريس من موته موعظة وعلموا ان مصيرهم سيكون كمصيره إذا خرجوا عن طاعته أو قاموا بمعارضة الخطط الكوشية .غير أنه من المؤكد أنه بعد موت بو خوريس قد حافظ رجال أسرته على امتيازاتهم الملكية .

وقد ظل ملوك سايس ما بين عامي ٧١٥-٦١٥ ق.م خاضعين تمام الخضوع للفاتحين (الكوشيين) وقد كان من العسير عليهم أن يحصلوا على الطاعة التامة من اتباعهم القدامى . وتاريخ الملوك المصريين الذين عاشوا في عهد شبكو وشبتكو غامض جدا بوجه خاص .

والملك نخاو جد المتعبدة الإلهية نيتوكريس من جهة أبيها معروف لنا جيدا . ولا يدل حكمه سايس وسلوكه في أثناء الغزوات الآشورية أو الفتوح الجديدة الكوشية بصورة قاطعة على انه ينتسب إلى الأسرة اللوبية الثالثة التي قامت في سايس ، إذ الواقع انه كان في مقدور كل من شبكو وشبتكو ان يتصرف في عرش سايس على حسب ميله وتدل الشواهد على انه في عهد شبتكو قامت حروب داخلية استدعت مجيء طهراقا واخوته لمعاونة أخيهم الملك .

ومن المحتمل ان نيكاو كان من نسل بو خوريس دون ان نحكم بأنه ابنه أو حفيده وقد حكم نخاو حوالي خمسة عشر عاما وقد كان بداية توليه العرش عندما غزا الأشوريون مصر وكانت الإمبراطورية العظيمة التي أسسها بعنخى وتمتد من الشلال الرابع إلى البحر الأبيض في يد طهراقا العظيم وكان متخذا تانيس مقرا لحكمه ليشرف عن كثب على حدوده الشرقية ، وكان يحلم في ذلك الوقت بإعادة سوريا إلى النفوذ المصري .

وفى تلك الفترة كان اسرحدون ملك آشور الجديد مضطرا إلى إعادة استقرار ملكه الذي كان مهددا لمدة بسبب قتل والده غيلة . وقد رأى طهراقا أن الفرصة متاحة لنيل مأربه فأثار الإضرابات والثورات في آسيا على الحكم الآشوري غير ان اسرحدون لم يجد عناء كبيرا في قمع الثائرين وبعد ذلك بقليل دخل الجيش الأشوري مصر وقد سهل عليه غزو مصر التقهقر السريع الذي قام به طهراقا فقد وصل إلى طيبة بسرعة ثم تابع تقهقره حتى وصل نباتا عاصمة ملكه على أن استيلاء اسرحدون على منف خضعت له الدلتا بسرعة وعندئذ أسرع الملك نخاو ملك سايس بالاعتراف بسيادة اسرحدون ولما كان نخاو يأمل بعد موت ملك آشور في ان يحصل على بعض الفائدة فانه أسبغ اسما آشوريا على عاصمة ملكه كما سمي ابنه بسماتيك اسما آشوريا أيضا ، وقام منتومحات أمير طيبة بالذهاب إلى اسرحدون عن طيب خاطر مقدما له الجزية مع العلم أنه كان في مقدوره المقاومة أو التقهقر نحو بلاد النوبة أو بلاد كوش ولا يستسلم للعدو بدون أي مقاومة ، ولكنه فعل ذلك حتى يحفظ المدين المقدسة من يد التخريب والعبث بآثارها ، ولم يكن في مقدرة اسرحدون بعد إحراز هذا النصر أن يظل مدة طويلة عن مقر حكمه في نينوه ولذلك

أكتفي بالغنائم التي جمعها من الجزية وبإخضاع أمراء الدلتا ثم عاد إلى أشور .

أما طهراقا نزل في النيل غازيا وبعد هزيمة الأشوريين صفح عن نخاو ومنتومحات ، وبذلك أصبحت مملكة سايس من جديد تحت سيادة الكوشيين ، أما اسرحدون فأستعد من جديد لفتح مصر عندما علم بحملة طهراقا ولكن المنية قد وافته .

وبعد ذلك قام أبنه أشور بنيبال عام ٦٦٨ ق.م بخطة لفتح مصر تنفيذا لخطة أبيه اسرحدون ، وتقابل جيش أشور بنيبال وجيش طهراقا وانتصر جيش أشور بنيبال وفر طهراقا هاربا إلى الوجه القبلي ، وأصبحت منف والدلتا من جديد تحت السيادة الأشورية .

تآمر نخاو الذي كان يحكم في سايس ومنف مع الكوشيين ضد جيش أشور بنيبال وانكشفت هذه الخيانة وقبض على نخاو وابنه بسماتيك وذهبوا إلى نينوه مكبلين بالسلاسل والأغلال ، وفي الأسر أستهوى ملك سايس الملك أشور بنيبال وكسب ثقته حتى أنه عفا عنه وأعاده إلى مصر محملا بالهدايا واعتلى عرش مصر مرة أخرى ، وكذلك أنعم على أبنه بسماتيك بولاية أتريب ، وكان لازما على نخاو مقابل ذلك أن يبقى مواليا للملك أشور بنيبال .

بعد ذلك حارب خليفة طهراقا تانوت أمانى الأشوريين واصطدم بالقرب من منف مع حامية أشور بنيبال وجنود نخاو وهزمهم وأسر نخاو.

كانت مصر محط أنظار كل من الكوشيين والأشوريين ، وقد أصاب مصر الضعف فلم تصبح قادرة على محاربة غزاتها من الأشوريين والكوشيين ، ولذلك وجد نخاو من الحكمة أن يسير على حسب مقتضيات الأحوال ، والواقع أنه كان على رأس مملكة سايس الملك السياسي المحنك الذي تتطلبه الأحوال وقتئذ ، وقام نخاو بدور رئيسي مع عدوى مصر وهم الكوشيين والأشوريين ، وبعد وفاة نخاو تولى أبنه بسماتيك الأول الحكم ، وقد اعترف به صغار الأمراء في كل إنحاء الدلتا .

كانت هذه الأحداث التي سبقت تولى بسماتيك الأول عرش مصر وتأسيس الأسرة السادسة والعشرين التي أعادت لمصر بعض من مجدها.

ملوك الأسرة السادسة والعشرون

كان أول ظهور للأسرة الصاوية في عهد الملك بعنخى ، وذلك عندما ظهر الملك تف نخت أمير سايس وعمل على مناهضة بعنخى ، وقد نجح تف نخت في ضم كثير من جهات القطر المصري ولكنه اضطر في نهاية الأمر إلى الخضوع لسلطان بعنخى ، ومن ثم نرى أن سلطان الصاوية بدأ منذ نهاية الأسرة الثالثة والعشرين عندما احتل كاشت الوجه القبلي .

الآثار المصرية القليلة التي بقيت لنا من هذا العهد تمكننا من التعرف على سلسلة من الأمراء الصاويين مما يسهل علينا ربط بو خريس والملوك الذين تسموا باسم نخاو ، وكذلك الذين تسموا باسم بسماتيك وهم

الذين تتألف منهم الأسرة السادسة والعشرون ، وسوف نستعرض ملوك الأسرة السادسة والعشرين .

الملك بسماتيك الأول ٦٦٣-٦١٠ ق.م

يمثل عام ٦٦٣ ق.م نهاية أمراء نباتا في مصر ، وإن استمرت طيبة تؤرخ بحكم تانوت أمانى ، وهناك عدة نقوش تسجل اسمه ، يرجع إحداها إلى العام الثامن من حكمه مما يشير إلى أن طيبة كانت مستقلة عن الأشوريين يدير شئونها أميرها منتو ام حات وزوجه الإله أمون شبن أوبت الثانية وموظفوها ، وأما في الدلتا فقد كان بسماتيك الأول يحكم سايس وأتريب ومنف كمولى آشوري ، والأمر كذلك بالنسبة إلى أمراء الدلتا الآخرين ، ومن المرجح أن بسماتيك الأول كان من سلالة تف نخت أمير سايس وعدو بعنخى ، والذي خلفه في إمارته ولده باك ان رنف ، ثم أصبح نخاو الأول على أيام اسرحدون وأشور بانيبال أميرا لمدينة سايس ومنف ، وأخيرا أصبح ولده بسماتيك الأول كمولى أشوري ملكا على غرب الدلتا من البحر المتوسط حتى منف بما في ذلك أتريب وعين شمس وقد قبل الرجل هذا الوضع أملا في غد قريب يعمل فيه من أجل الوحدة الوطنية ، ومن أجل الكرامة المصرية بدأ يعمل على تجميع السلطات الداخلية في يديه في غفلة من الأشوريين ، وكان هذا سهلا بالنسبة للناطق القريبة من إمارته ، إلا أن الاعتراف بسلطانه في أماكن أخرى كان أمرا محفوفا بالمخاطر ، فالملوك الصغار في تانيس وبخاصة بادي باست الثاني ، وربما نفر كارع ، تجاهلوا الأمر تماما واعتبروا أنفسهم ملوك كبسماتيك ، فضلا عن الانتساب إلى جد أعلى ملكي ، ومع ذلك فهناك في داخل أقاليمهم نفسها من اعتراف ببسماتيك في السنة الثامنة من حكمه ،

وهناك ما يشير إلى أن بسماتيك الأول كان منذ تلك السنة نشطا لدرجة كان ينظر إليه السيد الأكبر للدلتا ، عن طريق خضوع اختياري من أمرائها وربما عن طريق القمع الإجباري للمنافسات المحتملة .

تكمن قوة بسماتيك الأول في عدة عوامل منها حجم مملكته الكبير فضلا عن وحدتها الداخلية وقوتها البشرية ومواردها الاقتصادية بالنسبة إلى إمارات منافسيه ومنها رجال البرونز من البحر الذين تحدث عنهم هيرودوت ، ونجح بسماتيك في القضاء على النظام الإقطاعي الذي أقامه أو بالأحرى الذي شجعه الأشوريين للإبقاء على تمزق السلطة بينهم حتى يضمنوا سيطرتهم على الدلتا عن طريق أولئك الذين عينوهم نوابا عنهم هناك ، وقد استعان بسماتيك الأول عليهم بحلفائه من رجال الأسرة الحاكمة في أهناسيا ، والذين أسبغ عليهم بعد ذلك عطاياه جزاء وفقا لما قدموه من عون ، فأعطاهم إمارة أقاليم ثلاثة في الصعيد ، فضلا عن مساعدة سماتاوى تف نخت في أن يرث أباه بديسى في إمارة أهناسيا وفي أن يكون المشرف على السفن في مصر منذ السنة الرابعة من عهد بسماتيك الأول ، وهناك ما يدل على أن أعضاء آخرين من أسرته استمتعوا بهذا الامتياز الذي جعل لهم إشرافا على كل الملاحة في النهر إلى الجنوب .

قدم هيرودوت صورة أخرى للأحداث يلعب فيها الخيال حيث يروى أن الأمراء كانوا يخشون أن ينفرد أحدهم بالملك وكان عددهم أثنى عشر ، فأخذوا المواثيق على بعضهم ألا يعتدي واحد منهم على الآخر ، وكانت هناك نبوءة بأن الذي سيصبح من بينهم ملكا هو الذي سيصب ماء قربانه في هيكل بتاح في إناء من البرونز ، ولذلك اتفقوا على أن يذهبوا جميعا

لتقديم القربان في معبد بتاح ، وفي يوم من الأيام ذهبوا لتقديم القرابين في المعبد القديم ، ولم يحضر الكاهن خطأ سوى أحد عشر كأسا ، وكان بسماتيك آخر الصف فأنقذ الموقف بسرعة بديهية حيث خلع خوذته البرونزية وصب له الكاهن الأكبر الماء فيها دون أن يلتفت أحد إلى مغزى ذلك ، ولهذا اكتفى الأمراء بإبعاده إلى مستنقعات شمال الدلتا حيث اختبأ جده تف نخت فيها من قبل ، واستخار وحي بوتو فأجيب بأن الانتقام سيأتي من البحر على يد رجال من البرونز ، ولم يمض وقت طويل حتى نزل إلى شاطئ الدلتا حيث شاهد قراصنة من اليونانيين والكاريين يلبسون دروعا وخوذات من البرونز فعرف فيهم الرجال الذين تحدثت عنهم النبوءة ، وأغراهم بالوعد والمال وحالفوه ، وكانوا عونا في التغلب على الأمراء الآخرين .

عندما أستقر لبسماتيك الأمر في الدلتا ومصر الوسطى بدأ ينظر إلى طيبة التي كانت مستقلة بقيادة أميرها منتو ام حات غير أن شأنها بدأ يضعف منذ انتهاء حلفها مع نباتا وتدمير الأشوريين لها ، وحاول بسماتيك الاستفادة من الوضع الراهن ففاوض أميرها منتو ام حات على الإبقاء في منصبه ، كما فاوض كبيرة كإهاناتها على أن يدعها في منصبها بشرط أن تتبنى ابنته نيتو كريس .

حقق بسماتيك أهدافه في السنة التاسعة من حكمه وفرض سلطانه على طيبة ، وهناك لوحة كبيرة عثر عليها في الكرنك تتناول إرسال ابنته الكبرى نيتو كريس لتصبح زوجة إلهية لأمون تحت اسم شبن أوبت الثالثة خلفا لأخت الملك طهراقا التي تسمى شبن أوبت الثانية .

نجح بسماتيك من ولاية ابنته الإشراف الروحي على معابد أمون وكهنوته ، وتسجل لوحة من الكرنك العطايا والثروات التي انهالت عليها ومن بينها ١٨٠٠ أرورا من الأرض في سبعة من أقاليم الصعيد ، فضلا عن ٤٠٠ أرورا في أربع مقاطعات في الدلتا ، وبذلك أصبحت تملك حوالي ألفين فدان ، فضلا عن حاشية ضخمة من وجهاء الدلتا تحت إمرة نيتو كريس .

اتبع بسماتيك سياسة الهدنة مع الطيبين حيث نلاحظ أنه قبل أن يظل منتو ام حات وزملاؤه في وظائفهم ، بل أنه قبل أن يخلفه ولده في وظيفته ككاهن رابع لأمون وكحاكم للجنوب حتى وفاته في العام الخامس والعشرين من الحكم ، ومن ثم فقد اختفت هذه الأسرة من مركز القيادة في طيبة ، فضلا عن أن بسماتيك واتباعه اتبعوا سياسة إحلال رجال الدلتا الموثوق فيهم في وظائف الصعيد ، وهكذا أصبح حكام أهناسيا بالتدريج يمثلون قوة سياسية تدين بالولاء لملك سايس .

حقق بسماتيك التوازن في الجيش كما حقق التوازن الإداري ، وتحقق هذا التوازن في الجيش عن طريق الاستعانة بالجنود المرتزقة من الإغريق يتصدون للمجندين والمرتزقة من الليبيين وغيرهم ، وهكذا أصبح بسماتيك سيدا لمصر كلها من أسوان حتى البحر المتوسط ، وكما أرسل حملة إلى النوبة .

بسماتيك يطرد الأشوريين

كانت أشور تعاني في عهد أشور بانيبال الكثير من المتاعب والتي بدأت في عيلام ، غير أن هذا الرجل قد تغلب على هذه المشاكل وقام بحلف جديد وأسهم معه أخوه شمش شوموكين الحاكم شبه المستقل في بابل ، فضلا عن أن العناصر البابلية كانت تسعى للتخلص من النفوذ الأشوري وإرجاع عظمة بابل إلى مجدها ، ولذلك واجهت أشور مواجهات دموية مع عيلام وبابل ، فضلا عن الثورات السورية والاشتباك مع ليديا في معارك شديدة البأس ، وأدت هذه الظروف في أشور بالإضافة إلى توحيد مصر على يد بسماتيك وهذا معناه الامتناع عن دفع الجزية لأشور ، وتحالف بسماتيك مع ملك ليديا جيجس ، ونجح هذا التحالف في حين كان الأشوريين مشغولين في القضاء على الثورات التي اندلعت ضدهم ، ويذكر المؤرخون أن لمصر ضلعا كبيرا في انفجار هذه الثورات بالمساعدات الكبيرة التي كانت تقدمها .

أعاد بسماتيك الأول الوحدة القومية لمصر ، وتمكن من إعداد جيش قوي من الصعيد والدلتا ، انضم إليه جنود الايونيين والكاريين ، واكتسح بهذا الجيش الحاميات الأشورية القوية التي كانت تعسكر في الدلتا وتم طردهم نهائيا من مصر ، فهرب هؤلاء إلى فلسطين وتحصنوا في أشدود وتمكن بسماتيك وجيشه من تتبع هؤلاء وبذلك أعاد لمصر مركزها الممتاز في غرب آسيا ، وكانت فرحة التحرير من الغزو الأشوري واستعادة وحدة البلاد وعودة الأمن إلى أرضها انعكست على النواحي الداخلية بأجمعها ، فاشتدت الإشادة بالقومية وبعراقة الأصول وكان من وسائلها إحياء تقاليد الدولة القديمة في اللغة والدين ، وأساليب الدولتين القديمة والوسطى في فنون النقش والتصوير والنحت .

الملك نخاو الثاني ٦١٠-٥٩٥ ق.م

جلس الملك نخاو الثاني على عرش مصر خلفا لوالده بسماتيك الأول ، وقد اختلف المؤرخون في مدة حكم هذا الملك فيقول مانيتون أنه حكم لمدة ست أو تسع سنوات ، أما على الآثار فأعلى رقم لحكمه هو السنة الخامسة عشرة .

في الحقيقة أن الملك نخاو الثاني ورث عن والده عرش الكنانة قد مر دون أي معارضة أو شغب من قبل أي أمير من الأمراء الإقطاعيين الذين سلبهم والده فيما مضى ملكهم ، وكان أول ما وجه همه إليه نخاو الثاني هو السياسة الخارجية ، فبعد سقوط نينوه قام أمير أشوري يدعى أشور بالليت الثاني في مدينة حران واستولى عليها ولقب نفسه ملكا هناك ، وقد نشبت بينه وبين نابوبو لاسر ملك بابل حروب في عام ٦١١ ق.م ، وفي عام ٦١٠ ق.م استولى الميديون بمساعدة السكيتيين على حران ، وقد اضطر الملك أشور باللليت إلى التقهقر مجتازا نهر الفرات .

والواقع أن تغيير الجالس على عرش مصر لم يحدث أي تغير في السياسة الخارجية المصرية ، وكل ما ذكرته المصادر في هذا الشأن أنه في عام ٦٠٩ ق.م سار جيش مصري عظيم إلى بلاد آسيا وانضم إلى الجيش الأشوري وعبر نهر الفرات وتغلب الجيشان على فرقة من الجيش البابلي ، ولكن لم يظفر الجيشان بالغرض المقصود وهو استعادة بلدة حران ، وعللا ذلك تحرك نابوبو لاسر بنفسه على رأس جيش لمساعدة حاميته .

انشأ نخاو الثاني أسطول بحري عظيم لمصر حتى يتم تعزيز قوة بلاده ، وبنى السفن ذات الثلاث صفوف من المجاديف ذات الطراز اليوناني السائد في حوض البحر المتوسط ، وكان يشرف على الأسطول الفينيقيين المعروفين وقتئذ بمهارتهم البحرية ، ثم أرسل نخاو الثاني بعض من هذه السفن حول أفريقيا ، وقد نجحت هذه المهمة ، حيث قضت في رحلتها ثلاث سنوات دارت فيها حول شواطئ أفريقيا ثم عادت من بوغاز جبل طارق محملة بجميع خيرات أفريقيا التي حصلت عليها من الموانئ التي مرت عليها السفن .

وذكر هيرودوت المشرعات التي أنجازها نخاو الثاني وهو المشروع الذي أراد به أن يحيى من جديد مشروع توصيل البحر المتوسط بالبحر الأحمر ، وقد عمل نخاو الثاني على إعادة الطرق المائية التي كانت موجودة في عهد الأسرة الثامنة عشرة بل من عهد سنوسرت الأول وهي عبارة عن قناة تأخذ ماءها من فرع النيل البيلوزي بالقرب من مدينة بوبسطة وتوصل ما بين البحرين المتوسط والأحمر ، ومع ذلك المشروع لم ينفذ حتى نهايته ، وكان مسألة عدم إتمامه ترجع إلى صعوبات فنية ، ويذكر هيرودوت في ذلك ما يأتي : كان نخاو بن بسماتيك قد أصبح ملكا على مصر ، وهو أول من حاول شق القناة التي تؤدي إلى البحر الأحمر وهي التي أتمها من بعده دارا الفارسي ، وطول القناة مسافة أربعة أيام إبحار ، وقد شقت عريضة إلى حد أن تستوعب سفينتين من ذات الثلاثة صفوف من المجاديف تقف بجانب بعضها ، ويؤتى بالماء إليها من النيل ويدخلها من فوق مدينة بوبسطة بقليل ، وتمر بالقرب من المدينة العربية باتوموس وتصل إلى البحر الأحمر ، وقد حفرت أجزاء من السهل المصري الذي يقع نحو بلاد العرب أولا ، وفي أعلى هذا السهل يقع

الجبل الذي يمتد نحو منف وفيه محجران ، وعلى طول قاعدة هذا الجبل امتدت القناة طولا من الغرب إلى الشرق ثم امتدت إلى المضايق مارة من الجبل نحو السمت ونحو الجنوب في الداخل حتى خليج العرب (البحر الأحمر) ولكن الجزء الذي يكون العبور فيه أقصر وأسهل ما يكون هو الذي من البحر الشمالي إلى البحر الجنوبي وهو الذي كان يسمى البحر الأحمر ، ويذكر هيرودوت أن هذا المشروع قد توقف فجأة وبعد أن نفذ منه الجزء الأكبر ، وقد مات في حفرها مائة وعشرون ألف مصري ، لأن نبوءة الإله بوتو جاءت بأن الآلهة تأمره بترك المشروع لأن القناة ليست في صالح مصر ، وأنه لن يستفيد منها سوى الأجانب .

ومن آثار هذا الملك ، عثر على لوحتين مؤرختين بالسنة الأولى من عهد هذا الفرعون نخاو الثاني لكاهن يدعى بسماتيك وقد مات صاحبها في عهد أحمس الثاني ، كما عثر في محاجر طرة على لوحة مؤرخة بسنة ضم الأرضيين ، ولوحظ من هذه اللوحة أن الملك نخاو الثاني لم يضف إلينا في نقشه في أي عام تم توحيد الأرضيين تحت صولجانه ، ويذكر دارسي تفسيرا لعبارة توحيد الأرضيين ، منذ حكم الكوشيين كانت طيبة والأملاك الشاسعة التي سيطر عليها كهنة أمون العظام في الوجه القبلي ، تكون إقليما واحداً يكاد يكون مستقلا على رأسه حكومة دينية نشرف عليها زوج الإله أمون أو المتعبدة الإلهية ، وقد أستولي بسماتيك الأول بما أوتي من مهارة على رأس هذا الإقليم أو بعبارة أخرى عندما أرسل أبنته نيتوكريس إلى طيبة وجعلها المتعبدة الإلهية بعد أن تبنتها أخت طهراقا شبن وبت الثانية ومن ثم أصبحت هذه الإمارة تابعة لها ، وعندما تولى نخاو الثاني عرش الملك يحتمل أن نيتوكريس قد نزلت لأخيها عن امتيازاتها في هذه الإمارة ، وهي التي كانت تعد البقية الباقية من الاثنتى عشرة إمارة التي انقسمت إليها البلاد قبل تولي بسماتيك عرش مصر ،

وبضم هذه الإمارة أصبحت البلاد موحدة وهذا ما تشير إليه نقوش اللوحة وتسميه اتحاد الأرضيين ، كما عثر على جعران عليه اسم هذا الفرعون ، وكذلك عثر على خاتم من الجبس عليه اسم نخاو الثاني .

الملك بسماتيك الثاني ٥٩٥-٥٨٩ ق.م

تولى الحكم الملك بسماتيك الثاني خلفا لوالده نخاو الثاني ، ويذكر مانيتون وهيرودوت بأن هذا الملك لم يدم حكمه أكثر من ست سنوات ، وقد عثر له على آثار منها العثور على قطعة حجر عليها اسم الملك بسماتيك الثاني في مدينة رشيد ، وكذلك عثر على قطعة من الحجر في الإسكندرية وهي جزء من تمثال جالس من حجر البورفير الأحمر ، وقد نقش عليها اسم هذا الملك ، وكذلك عثر على جعارين في تل جعيف عليها لقب هذا الفرعون وهو نفر ايب رع ، وكذلك عثر في تانيس على جزء من قرص من الفخار المطلي عليه لقب هذا الفرعون ، وكما عثر في الأشمونين على مفصلة باب من البرونز منقوش عليها اسم الملك بسماتيك الثاني ، وكذلك عثر على خاتم من الجبس نقش عليه اسم الملك بسماتيك الثاني في الدفنه ، وعثر على أحجار أثرية كثيرة في صا الحجر وعليها اسم الملك بسماتيك الثاني ، وكذلك عثر في هليوبوليس على مائدة قربان محفوظة الآن في متحف مدينة نابولي وهذه المائدة مصنوعة من البازلت وعليها نقش اسم الملك بسماتيك الثاني ، وقام بعمل ترميمات في معبد الآلهة نيت ومعبد أوزير في سايس .

وقد عثر لجران على لوحة عنخنس نفر ايب رع في خبيئة الكرنك ، وهذه اللوحة مصنوعة من المرمر ويبلغ ارتفاعها ٧٤ سم وعرضها ٤٢

سم وسمكها ١٣ سم ، وهي محفوظة الآن بالمتحف المصري ، وقام كل من ماسبرو وبرستد بترجمتها ، وهذه الوثيقة تمدنا بحقائق تاريخية غاية في الأهمية عن عهد الأسرة السادسة والعشرين وخاصة من حيث تأكيد بناء تأريخ هذه الأسرة ، فهي تعد البرهان الفاصل بأن الملك بسماتيك الثاني والد عنخنس نفر ايب رع ، وكذلك تمدنا اللوحة بتاريخ موت الملك بسماتيك الثاني ومن ثم نعلم مدة حكمه ، وكذلك نعلم من تلك اللوحة أن إبريس هو ابن الملك بسماتيك الثاني ، كما هو واضح من سياق النص تاريخ تبنى عنخنس نفر ايب رع وتاريخ موت نيتوكريس .

وتشير اللوحة إلى أن بسماتيك الثاني قد أرسل ابنته عنخنس نفر ايب رع إلى طيبة في عام حكمه الأول لكي تتبناها نيتوكريس أبنه بسماتيك الأول ، كما فعلت شبن أوبت الثانية مع الأخيرة ، هذا إلى أن الأمر الجديد هنا ان عنخنس نفر ايب رع إنما حملت أثناء الاحتفال بهذا التبني لقب الكاهن الأعظم لأمون ، هذا وقد ماتت نيتوكريس في السنة الرابعة من حكم إبريس وخلفتها في وظيفتها عنخنس نفر ايب رع .

إبريس واح ايب رع ٥٨٩-٥٧٠ ق.م

خلف بسماتيك الثاني ولده إبريس واح ايب رع على عرش مصر ، واختلف المؤرخون حول مدة حكمه فيذكر هيرودوت أن إبريس حكم لمدة خمسة وعشرين عاما بينما نجد مانيتون يذكر مدة حكمه تسعة عشر عاما ، أما ديودور الصقلي فيقول أنه حكم لمدة اثنتين وعشرين عاما ، بينما جاء على الآثار التي وجدت له حتى الآن أن أعلى تاريخ أرخ به في

حكمه هو تسعة عشر عاما ، وكان يسمى إبريس عند اليونان بينما ذكر في التوراة باسم حفرع .

كانت سياسة مصر الشمالية تحولت على أيامه لممارسة القوة ، ولعل السبب في ذلك رغبة مصر في الإفادة من إمكانات قوتها البحرية في مراقبة موانئ الشام لتعطيل مصالح البابليين وحتى لا يستغلونها ضدها ، ثم عودة البابليين إلى التوسع الحربي في فلسطين وحصارهم لأورشليم عام ٥٨٨ ق.م ، ولذلك كان على إبريس أن يقوم بمجهودات حربية نشطة لاستعادة فلسطين ، وكان صدقيا ملك يهوذا لا يزال على إخلاصه لبابل فترة من حكمه ، كانت مصر شديدة الاهتمام بعلاقة يهوذا ببابل ، وكانت تبذل قصارى جهدها لإحداث ثورة ، ومن ثم فقد بثت الموالين لها بين الشعب وقواده ، مما أدى إلى زيادة التوتر بين الأحزاب المعارضة في يهوذا وحذر أنبياء يهوذا الحزب الموالي لمصر ، ثم سرعان ما عقد تحالف سري مع أدوم ومؤاب وعمون وصيدا وصور بحضور صدقيا في أورشليم ، وهناك ما يشير إلى أن بابل قد استدعت صدقيا لتفسير ذلك ، وقام إبريس بدور رئيسي في اتخاذ القرار بالثورة ، وأعطى تأكيدات بمساعدة عسكرية مصرية لأن صدقيا قد أعلن التمرد على بابل .

بعد هذه الأحداث اضطر نبوخذ نصر للتوجه إلى فلسطين ، وبدأ يحتل مدن يهوذا الواحدة تلو الأخرى ما عدا أورشليم ومدن الحدود في لاخيش وغريقة في الجنوب ، ثم بعد ذلك سلمت لاخيش وظلت أورشليم وحدها تقاوم أملا في المساعدة العسكرية القادمة من مصر ، ويبدو أن الجيش المصري ظل مدة يحمى أورشليم ثم تركها بعد ذلك متوجها إلى ساحل البحر المتوسط لاحتلال المدن الفينيقية بعد أن حول اهتمام البابليين

عن أورشليم ، وهناك ما يشير إلى أن إبريس قد وجه الجيش إلى الهجوم على صيدا وصور ، ثم تحرك نحو قبرص ، ودمر المحطات الفينيقية ثم عاد دون أن يجنى الكثير من وراء ذلك ، وأخيرا سقطت أورشليم ودمر البابليون المدينة تماما ، ثم اتجه نبوخذ نصر إلى الساحل الفينيقي وفرض الحصار على صور التي صمدت ثلاثة عشر عاما دون أن يتمكن العاهل البابلي من الاستيلاء على هذه الولاية ، وربما ساعدها على المقاومة سهولة اتصالها بالبحر ، وقيام الأسطول المصري بتموينها مما أثار حفيظة نبوخذ نصر على مصر وتصميمه على الانتقام المباشر ، وهناك نص بالمسمارية في المتحف البريطاني يشير إلى أن نبوخذ نصر قام في العام السابع والثلاثين من حكمه ببعض العمليات الحربية ضد أحمس الثاني ، وأن كان يبدو أن مصر وبابل قد دخلتا في صراع في هذه المرحلة .

دخل إبريس في حرب أخرى وذلك في غرب مصر ضد الجماعات الدورية الإغريقية التي استعمرت برقة وذلك في عام ٥٧٠ ق.م ، وقد لجأ أحد رؤساء الليبيين ويسمى اديكرات إلى إبريس يطلب حمايته ، ولكن الجيش المصري لقي هزيمة ساحقة ، فثأر المواطنون في مصر ضد إبريس وأعلنوا العصيان على إبريس ، وندب إبريس قائده المصري أحمس للتفاوض مع الثوار ولكنهم اجتذبوه إلى صفوفهم وعهدوا إليه بزعماتهم ، ثم قتل إبريس على يد الثوار .

وقد عثر على عدة آثار في إنحاء القطر ، حيث عثر على بطاقة من خشب الجميز محفوظة الآن في متحف اللوفر ، وهذه البطاقة خاصة بمومية وقد كتب على البطاقة بالخط الهيراطيقي نقش الملك إبريس ،

وكذلك عثر على عمود من البازلت الأسود في صا الحجر عليه اسم الملك إبريس ، وعثر على مسلات لهذا الفرعون وجدت في عين شمس نقلت إلى روما ، كما تم العثور على اللوحة الشهيرة التي أقامها في منف وهي تمثل بعض القرارات لضمان استمرار تقديم القرابين للآلهة وبخاصة بتاح ، كما أقام قصرين عظيمين في كل من منف وسايس .

الملك أحمس الثاني ٥٧٠-٥٢٦ ق.م

أجمعت الآراء على المدة التي حكمها أحمس الثاني أو أمازيس كما يسميه اليونانيين وذلك على حسب ما جاء عند الكتاب الأقدمين أمثال هيرودوت ومانيتون فقد أجمع الجميع على أنه حكم لمدة أربع وأربعين عاما ، وكذلك جاء على الآثار أن أحمس الثاني لم يحكم أكثر من أربع وأربعين عاما كما يدل على ذلك نقش في وادي حمامات .

يذكر هيرودوت عن الملك الجديد أحمس الثاني بأنه كان من عامة الشعب من سايس ولم يكن أميرا ملكيا ، وتحدثنا فيما سبق عن الثورات التي قامت في مصر ضد الملك إبريس وتصدى له قائده أحمس الذي أصبح فيما بعد ملكا على مصر ويدعى أحمس الثاني ، وذلك بعد أن خلع إبريس عن عرش الملك بمساعدة جنوده من المشوش ، وبتولي أحمس الثاني عرش الملك قد تغيرت الأسرة الحاكمة لأنه لم يكن من دمها ولا من دم ملكي قط ، ويذكر هيرودوت عن أمازيس : "وبعد أن أنزل إبريس عن عرش الملك بهذه الصورة حكم مكانه أحمس الثاني الذي ينسب إلى أقليم سايس صا الحجر ، وكان اسم البلدة التي أتى منها هي سيوف (وهي

قرية قريبة من سايس ويحتمل أنها قرية الصفة الحالية التي تقع على مسافة ستة أميال من سايس صا الحجر) ".

وقد أظهر المصريون لهذا الملك في بادئ الأمر الكره ، ولم يشعروا من ناحيته باحترام كبير لأنه كان فيما مضى شخصا عاديا ، ولم يكن من أسرة عريقة ، ولكنه فيما بعد أرضاهم بمخاطبته إياهم دون كبرياء ، فقد كان يملك كنوزاً كثيرة ، بالإضافة إلى أنه كان يمتلك إناء من الذهب يستعملها لغسل الأقدام ، وأعتاد أحمس الثاني أن يغتسل فيها هو وجميع ضيوفه الذين اعتادوا غسل أرجلهم عنده ، وقد كسر هذا الإناء قطعا وصنع منه تمثال إله ووضعه في مكان مناسب في المدينة ، وقد احتشد المصريون حول هذا التمثال وقدموا له أعظم الإجلال ، غير أن أحمس الثاني ، لما علم بمسلكهم هذا جمع المصريون وفسر لهم الأمر قائلا : أن هذا التمثال الذي يعبد كان مصنوعا من إناء لغسل القدم وكان القوم يقيئون ويتبولون ويغسلون أقدامهم فيه ومع ذلك فهم يبجلونه الآن أعظم تبجيل ، وبعد ذلك استمر يقول أن ما حدث لإناء القدم قد حدث له ، فأنه على الرغم من أنه كان شخصا عاديا قد أصبح ملكهم ، فهو يطلب إليهم أن يحترموه ويبجلوه وبهذه الطريقة كسب ود المصريين ، ولقى قبولا حسنا عند المصريين ، وتلك كانت هي العقبة الأولى التي اعترضته .

كان أحمس الثاني يدرك أنه لا يمكنه أن يطمئن على سلامة البلاد وأمنها إلا بوجود هؤلاء الجنود المرتزقة من الأجانب ، وذلك لأن الحالة في غرب آسيا كانت وصلت إلى حالة من السوء ضد مصر ، كما أن قوة اليونانيين ازدادت في البحر المتوسط ، ولم يكن من الحكمة إضعاف الجيش وخلق عداوة مع جميع الدويلات اليونانية ازدادت ، وشل الاقتصاد

المصري إذا ما تعرض للتجار الأجانب وطردهم من مصر ، وقد حدثت اضطرابات بين الجنود المصريين ضد التجار اليونانيين المتفرقين في الدلتا ، وقد عمل أحمس الثاني على تخفيف الموقف فضلا عن إرضاء الوطنيين الذين كان يدين لهم بعرشه ، ولذلك لجأ إلى وسيلتين لحل هذه المشكلة .

الوسيلة الأولى عمل على إرضاء الشعور الوطني في مصر وخاصة في الجيش ، كما أمر باستدعاء اليونانيين من الحاميات الموجودة على الحدود وتم استبدالهم بالجنود المصريين ، ثم أقام مساكن لهؤلاء الأجانب في أحياء معينة في مدينة منف وذلك حتى يضمن أنهم مراقبين تحت سلطانه ، كما ألحق بعضهم في حرسه الخاص .

وأما الوسيلة الثانية فكانت إرضاء التجار المصريين الذي كانوا ينظرون بعين الحسرة إلى التجار اليونانيين على ثرائهم الفاحش ، وأمر أحمس الثاني بأن يقتصر نشاط اليونان التجاري على مدينة نقراطيس (كوم جعيف الحالية) فقط ، ولكنه إرضاء لليونانيين جعل من نقراطيس مدينة يونانية وسمح لهم أن يقيموا معابد وأسواق خاصة بهم .

كان أحمس الثاني محبا لليونانيين ولذلك تزوج من لايكة وهي سيدة من برقة ، وكذلك إسهامه في بناء معبد دلفي الذي كان قد تهدم ، ومنح الكثير للعديد من المعابد اليونانية فأرسل إلى مدينة كورينى تمثالا للآلهة أثينا مغطي بالذهب مع صورة مرسومة ، وأرسل إلى معبد ليندوس تمثالين له من الخشب ، وكان أحمس الثاني يتمتع بشعبية كبيرة بين المصريين ، ونسب هيرودوت إليه أنه سن قانون من أين لك هذا وهو

قانون يقضي على كل مصري بأن يثبت مصادر كسبه ، وقد اقتبس المشرع اليوناني سولون هذا القانون المصري وطبقه في أثينا .

أقام أحمس الثاني العديد من الآثار في كل مكان والتي كانت منحصرة في إقامة المباني العظيمة ، والآثار الخالدة التي تركها في طول البلاد وعرضها فآثاره تمتد من الشمال الغربي للدلتا حتى جزيرة سهيل بأسوان هذا فضلا عن أهداه من آثار لبلاد الإغريق ، ومن هذه الآثار التي تركها لنا لوحة من الجرانيت مؤرخة بالسنة الأولى من عهد الملك أحمس الثاني عليها نقش باسمه ، كما عثر على تمثال صغير من البرونز لصقر في كوم افرين عليه اسم هذا الفرعون وهو محفوظ الآن بالمتحف البريطاني .

توفى أحمس الثاني في عام ٥٢٦ ق.م ، ولقد أفلت من الكارثة التي حلت بالبلاد بعد عام واحد من رحيله أي في عام ٥٢٥ ق.م على يد قمبيز الفارسي والذي تعرض لهذه الكارثة ودفع حياته ثمنا لها هو بسماتيك الثالث .

الملك بسماتيك الثالث ٥٢٦-٥٢٥ ق.م

بعد موت الملك أحمس الثاني خلفه الملك بسماتيك الثالث ، وذكر مانيتون أن هذا الفرعون حكم لمدة ستة أشهر بينما اختلفت الآراء مع مانيتون ومنهم فيدمان وأونجار وبتري الذين أجمعوا أن هذا الفرعون حكم ما بين ٥٢٦-٥٢٥ ق.م .

توفى أحمس الثاني في عام ٥٢٦ ق.م ودفن في الحي المقدس للآلهة نيت بمدينة سايس ، وبعد تولى بسماتيك الثالث الحكم انقض الملك قمبيز ملك الفرس بجيش كبير على مصر ، وكان يؤازره أسطول فينيقي قوي تم تجهيزه بسفن في جزيرة قبرص التي انضمت إلى العاهل الفارسي ، وذكر أنه لم تحدث أي مقاومة للجيش الفارسي ، وقد حاول بسماتيك الثالث أن يتصدى للفرس ، وحاول أن يحمى معاقل شرق الدلتا ثم وقعت موقعة فاصلة بين الجيشين الفارسي والمصري ، وأنتصر فيها الفرس وذلك في عام ٥٢٥ ق.م عند مدينة بلوزيوم ، وقد حطم فيها جيش الفرعون ، ومن ثم تقدم الجيش الفارسي إلى منف وسقطت أمام هجومه وأخذ بسماتيك الثالث أسيراً ثم تلاشت بعد ذلك كل مقاومة ، وعلى أثر ذلك خضع اللوبيون والسيريون وأهل برقة دون إراقة أي دماء للفرس ، وبذلك قضى على دولة بسماتيك الثالث ، ومن ثم أصبحت مصر خاضعة لملك الفرس العظيم قمبيز .

ترك بسماتيك الثالث آثار كثيرة بالرغم من أن مدة حكم هذا الملك كانت قصيرة ، فلقد وجد له منظر في معبد الكرنك ومثل فيه وهو يقدم قربانا للإله أمون ، وقد مثل في منظر آخر في الكرنك وهو يتعبد للإله حور ، وكذلك عثر على رأس لهذا الفرعون محفوظة الآن في متحف اللوفر ، ويوجد في معبد أوزير بامريس بالكرنك منظر مثل فيه الملك بسماتيك الثالث على الواجهة مقابل صورة أبنه الملك بسماتيك الثاني زوج الآلهة عنخنس نفر ايب رع الشهيرة ، وكانت هذه الزوجة الإلهية تلقب بالكاهن الأكبر قد جاوزت حياتها عهد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، وكذلك عثر على اسم هذا الفرعون على تمثال صغير للمشرف على الأسطول والذي يسمى وز حور رسنت .

الفصل السادس

الأسرات من السابعة والعشرين
إلى الثلاثين

الأسرة السابعة والعشرون ٥٢٥-٤٠٤ ق.م

الغزو الفارسي لمصر

قمبيز ٥٣٠-٥٢٢ ق.م

في أواخر القرن السادس قبل الميلاد أصبح كيروش الثاني (قورش) ملكا على الفرس كلها ، وقد أتخذ أنشان عاصمة له قبل أن ينتقل إلى عاصمته الجديدة بازارجادة ، ثم استولى على ميديا ، ومن هنا بدأت دول غرب آسيا تنظر بقلق إلى هذا الفاتح الجديد ، ولذلك عقدت ليديا وبابل ومصر وبعض الشعوب الإغريقية حلفا بينها ضد الفرس ، غير أن كيروش استولى على سارديس عاصمة ليديا عام ٥٤٦ ق.م وأخذ ملكها أسيرا ، ولم تمض خمس سنوات حتى أصبحت فارس تحتل المكانة الأولى في الشرق ، كما مدت نفوذها حتى البحر المتوسط ، ثم أحتل كيروش بابل في عام ٥٣٩ ق.م ، وبعد أن مات كيروش عام ٥٣٠ ق.م خلفه ولده قمبيز بعد أن اشترك معه في الحكم لمدة ثماني سنوات .

كان كيروش قد خطط لغزو مصر ، وعهد إلى أبنه قمبيز بهذا الأمر وبعد أن قضى قمبيز على الاضطرابات والمؤامرات التي اندلعت عند توليه العرش توجه بنفسه على رأس جيشه إلى مصر ، ويذكر المؤرخون أن قمبيز كان يهاب مصر وتباطأ في المضي إلى مهاجمتها لأنه كان يجهل أمورها ولا يعرف إلا القليل عن أحوالها الداخلية ، كما كان يخشى الصحراء ومسالكها وهو من أولئك القوم الذين لم يعتادوا إلا المحاربة في

الأراضي الزراعية ، والذين يعتمدون على تموين جيوشهم محليا ، وكاد قمبيز يرجع عن غزو مصر لولا أن القدر ساق له أحد المغامرين اليونانيين وهو فانيس والذي كان عاش أكثر حياته في مصر يقود فيها فرقة من الجنود المرتزقة ، ثم هرب من ملك مصر أحمس الثاني لخلاف وقع بينهما ، وقد وضع خدماته تحت إمرة الملك قمبيز ، وأوضح فانيس لملك الفرس عن كل ما يدور قي مصر من صراع بين الحكومة المصرية والجاليات الإغريقية ، كما أطلعه على إمكانياتها في الدفاع وعن جميع أحوالها المختلفة ، وحذره من المخاطر التي سيلاقيها عند عبور الطرق الصحراوية المؤدية إلى مصر ، ونصحه بالالتجاء إلى بدو الصحراء الذين يعرفون مسالك ودروب الصحراء وأن يجزل لهم العطاء حتى يدلوه على أقصر الطرق .

في نهاية الأمر تحقق حلم قمبيز وقاد جيشه ومعه فانيس ونفر من اليهود الذين اصبحوا يدينون بالولاء للفرس منذ أيام كروش الثاني الذي فك أسر اليهود المنفيين في بابل منذ أيام نبوخذ نصر وأعادهم إلى أورشليم مكافأة لهم على خيانتهم للبابليين ومساندتهم للفرس على فتح بابل ، ومن هنا كانوا على استعداد للانضمام إلى جيش قمبيز ضد مصر .

وسرعان ما تقدمت جيوش الفرس نحو سيناء واقتربوا من بلوزيوم (الفرما شرق بور سعيد الحالية) وذلك في عام ٥٢٥ ق.م ، وكانت مصر في هذه الفترة فقدت فرعونها العظيم أحمس الثاني وخلفه ولده بسماتيك الثالث ، والذي كان بعيد عن شئون الحكم طوال أيام أبيه ، ولم يكن له أي خبرة في شئون الحرب والقتال ، وكان الجيش المصري في تلك الفترة

يعتمد على الجنود المرتزقة اليونانيين ، وانتصر جيش قمبيز على الجيش المصري رغم استبسال المصريين .

وتقدم قمبيز إلى الدلتا وأحكم الحصار حول هليوبوليس حتى استسلمت وفر بسماتيك الثالث إلى منف وتبعه قمبيز حيث دارت معركة أخرى انتهت بسقوط منف ، ووقع الفرعون أسيرا في أيدي الفرس ، وأضطر المصريون إلى التسليم ، وأكرم قمبيز بسماتيك الثالث وأحسن معاملته وأطلق صراحه ، ولكن بسماتيك الثالث حاول مرة أخرى أن يثير الشعور الوطني ضد قمبيز فقبض عليه ، وتختلف الآراء حول مصير بسماتيك الثالث فهناك من يرى أن قمبيز قد قتله ، أو أنه قد أرسله أسيراً إلى الفرس ، بينما يرى آخرون أن الفرعون قد انتحر ، وبذلك انتقلت مصر إلى أيدي الفرس الذين يمثلون الأسرة السابعة والعشرين .

قضى قمبيز في مصر ثلاث سنوات ، وشهد حكمه في بدايتها كل ما يمكن ان ينتظر من طاغية مستبد من تخريب ونهب وتدمير ، وحين بدأت تهدأ العاصفة توجه إلى طيبة ، ومن هناك استطاع أن يصل إلى الواحة الخارجة وأن يستولي عليها ، بل أنه خطط لثلاث حملات الأولى للاستيلاء على قرطاجنة ، والثانية للاستيلاء على واحة سيوة (مقر وحي أمون) وكانت الثالثة تهدف على الاستيلاء على كوش ، وقد فشلت الحملة الأولى بسبب أعوانه من الفينيقيين رفضوا أن يستخدموا الأسطول ضد أبناء جنسهم ، وأن يدمروا مدينة قرطاجنة .

أما الحملة الثانية التي كانت على سيوة ، وكان الهدف منها تدمير معبد أمون ن وربما كان الهدف الاستيلاء على برقة ثم قرطاجنة ، وكانت

سيوة تحتل مركز خاص ، كما كانت مركز نبوءة اشتهرت بصدق ما يصدر عن كهنتها ، وكان الإغريق يثقون فيها ثقة عمياء ، وقد تنبأ كهنة أمون بسوء المصير لقمبيز وفتوحاته ، فأراد قمبيز ان يلقن هؤلاء الكهنة درسا قاسيا ، ويريد أن يثبت للعالم كذب هذه النبوءة ، وتذكر المصادر القديمة أن جيشا ضخما يتكون من خمسين ألف مقاتل خرج من طيبة إلى سيوة ، ويؤكد هيرودوت بأن كهنة أمون في سيوة سئلوا عن مصير هذا الجيش ، فقالوا بأنه حدث في اليوم الرابع من خروجهم من طيبة عندما استراحوا في منتصف النهار لتناول غذاءهم ، وأرسل عليهم أمون غضبه ، فقامت زوبعة رملية شديدة ردمتهم جميعا تحتها .

وأما الحملة الثالثة التي كانت على بلاد كوش ، والتي أسهم فيها قمبيز بنفسه ، فقد منيت بفشل ذريع بسبب الإهمال في أعدادها ، وهناك ما يشير إلى أن قمبيز أرسل إلى نباتا رسلا يعرضون عليها صداقة الفرس ، ولكن ملك نباتا رفض هذا العرض ، ثم سار قمبيز بجيشه نحو كوش ، وقد لقي قمبيز الكثير من المتاعب وفشل فشلا ذريعا .

عاد قمبيز من السودان بهزيمة مروعة بعد أن فقد الكثير من جيشه ، وبعد أن فقد الأمل في أن يحرز أي نصر على ملوك نباتا ، ولما عاد قمبيز كانت منف تحتفل بالعثور على عجل أبيس جديد ، فظنها فرحة ضده بسبب هزائمه ، فأنتقم منهم شر انتقام وهدم معابدهم .

من الآثار التي تنسب لقمبيز ، عثر على تمثال عليه نقوش باسم قمبيز محفوظ الآن في متحف الفاتيكان ، كما عثر على خاتم للملك قمبيز بمتحف الفنون الجميلة بموسكو .

الملك دارا الأول ٥٢٢-٤٨٦ ق.م

حكم هذا الملك لمدة ستة وثلاثين عاما حسب ما جاء عند مانيتون ، وأعلى تاريخ له وجد على الآثار المصرية هو السنة السادسة والثلاثون .

أظهرت الوثائق المصرية القديمة الملك قمبيز في صورة مختلفة عن الصورة التي صورها لنا الكتاب القدامى من اليونانيين والرومان ، وعلى ذلك فأنها تؤلف مستندا ثمينا لتاريخ التسلط الفارسي على وادي النيل ، ولكن عندما نصل إلى حكم دارا الأول نجد أنه على الرغم من قلة المصادر المصرية الخاصة به بالنسبة لعهد سلفه فأنها تقدم لنا حقائق جديدة كما أنها لا تغير قط الفكرة التي يمكن أن نكونها عن عهده على حسب ما جاء في المصادر غير المصرية كما حدث في عهد قمبيز ، فتدل الوثائق المصرية على أنه في عهد الملك دارا الأول عاد وزاحر رسن إلى مصر بأمر من الملك لأجل أن يعيد تأسيس مدرسة سايس ، وهذا العمل كان من ضمن أعمال دارا الأول التي أتخذها لتحسين حالة البلاد المصرية في الداخل .

وصل دارا الأول إلى مصر في عام ٥١٨ ق.م ، وهناك ما يشير إلى اهتمامه بالحضارة المصرية ، وأرسل إلى الوالي الفارسي الموجود في مصر ويدعى أرياندس بأن يجمع أعقل الرجال من بين جند بلاده وكهنتها وكتابها ، ثم كلفوا بكتابة القانون الكامل لمصر حتى عام ٤٤ من حكم أحمس الثاني ، وهو عمل ظلوا مشغولين به حتى عامه التاسع عشر ، ويذكر ديودور عن دارا الأول بأنه يعد من أكبر من شرعوا القانون في

مصر ، وأتهم دارا الأول واليه أرياندس بالخيانة وعدم الولاء له فأعدم ، ربما لأنه سك عملة ينافس بها عملة دارا الأول الذهبية ، أو لأنه قام بصهر العملة الذهبية المضروبة باسم دارا الأول وباعها سبائك ، وعلى أية حال فقد أمر دارا الأول بإعدام هذا الوالي ، ثم بدأ دارا الأول في محاولة منه لكسب ود المصريين ، واستطاع أن يوقف عمليات القهر ، وأن يمحو من الأذهان قسوة قمبيز وبطشه ، وقد سنحت له هذه الفرصة في موت العجل أبيس وحداد المدينة لعدم على العثور على عجل جديد ، فأعلن عن منحه مائة وزنه لمن يعثر على بديل للعجل ، مما جعل المصريين يحبونه .

أكمل دارا الأول مشروعات ملوك الأسرة السادسة والعشرين ، فأكمل عمليات التشييد في معابد آلهة المصريين ، فإليه ينسب إكمال المعبد الذي أقامه أحمس الثاني لأمون رع في واحة الخارجة ، واصطنع دارا الأول ألقابا مصرية مثل ابن رع ، محبوب أمون ، ابن حور ، ابن ايزة الذي يعيش إلى الأبد ، وتوجد نقوش في وادي الحمامات يرجع تأريخها من أخر سنوات حكم أحمس الثاني وحتى العام الثلاثين من حكم دارا الأول ، وتدل على الاهتمام دارا الأول بترميم المعابد المصرية ، فأسند إلى خنوم ايب رع بالإشراف على ترميم معابد الآلهة مين وحور وايزة في قفط ، ومعابد أمون وموت وخونسو في طيبة ونيث في سايس ، وأقام هيكلا للإله حور في إدفو ، كما وجد اسمه على العديد من الآثار في مدينة الكاب .

أعاد الملك دارا الأول مشروع ربط النيل بالبحر الأحمر ، والذي كان قد توقف في عهد نخاو الثاني ، وتم شق قناة تجري في الفرع

البوباستى القديم حتى البحر بالقرب من الإسماعيلية الحالية ، وقاست البلاد الكثير من الويلات لأن الفرس اعتبروا مصر مجرد ولاية ، كما عانت البلاد من الضرائب المفروضة عليهم .

كان الحكم الفارسي لمصر بمثابة صدمة عنيفة على المصريين ، ثم جاءت إصلاحات دارا الأول والتي كانت بمثابة عملية خدعت المصريين والذين انجذبوا إلى المظاهر ، ولذلك استسلموا إلى الأمر الواقع أملا منهم بالإصلاحات وإنقاذ مصر .

وسارت الأمور على ما هي عليه حتى تغيرت الأمور في فارس نفسها حيث ثأرت المدن الايونية في عام ٤٩٩ ق.م ، وأصبحت الأمور مهيأة لقيام حرب بين الفرس واليونان ، بعد أن قدمت أثينا وأرتريا المساعدة والعون لهذه المدن الثائرة .

قامت موقعة ماراثون في عام ٤٩٠ ق.م بين الفرس واليونان والتي انتهت بهزيمة الفرس وفقدوا في خلال تلك الحرب حوالي ٦٥٠٠ من خيرة رجالهم ، وصمم الملك الفارسي أن ينتقم من هذه الهزيمة المروعة مما أدي إلى أن يتهاون في شئون مصر ، وانعكست تلك المعركة على الشرق الأدنى القديم كله ، حيث قام المصريين بثورة خطيرة في الدلتا عام ٤٨٦ ق.م ضد الفرس بقيادة خباش وهو أحد الأبطال المصريين الذي أراد أن يخلص مصر من الاستعباد الفارسي ، وتدل النقوش على أن خباش حكم البلاد بوصفه ملكا واتخذ لنفسه ألقابا ملكية ، والبعض يرى في هذا الشخص الفرعون سهر ايب رع ، ويرى آخرون أنه أميرا من أمراء الدلتا ، ولقد سببت تلك الثورة الكثير من الخسائر للفرس ، واحتل

الثوار مدينة منف وسايس ، وصمم دارا الأول على الانتقام من المصريين ، ولكنه مات عام ٤٨٦ ق.م قبل أن يقضى على تلك الثورة .

الملك اكزر كسيس ٤٨٦-٤٦٥ ق.م

خلف الملك دارا الأول أبنه اكزر كسيس وكان من أول المهام التي تقع على عاتقه هو القضاء على تلك الثورة التي اندلعت في مصر في أواخر عهد أبيه دارا الأول ، وقد استطاع أن ينجح في العام الثاني من حكمه القضاء على الثورة في مصر ، وذكر هيرودوت أن اكزر كسيس أنزل بالقوم عقابا شديداً ، وقد عمل أخوه أخمنيس الذي عينه واليا على مصر ، أن يرسل إليه كل بحار وجندي مصري يستطيع ان يضع عليه ، فضلا عن مائتي سفينة ، وقد استفاد اكزر كسيس من هذا فائدة كبرى ، فلقد قام الأسطول المصري بدور هام في معركة سلاميس ، ولقد اختلس أخمنيس من المعابد الكثير ، واستعان في ذلك بيهود اليفانتين ، كم أعيد العمل في محاجر وادي الحمامات ، ولقد ظلت مصر في قبضة الفرس طوال عهد اكزر كسيس ، وكان اليهود أعوانا للفرس ضد المصريين ، وقد عثر في اليفانتين على قوائم تضم أسماء الكثيرين من المرتزقة في البحرية الفارسية وخاصة من اليهود الذين كونوا جالية في اليفانتين ترافقهم زوجاتهم وأطفالهم ، وأنهم كانوا يستخدمون اللغة الآرامية وليس العبرية ، وأن الاصطلاحات التي كانوا يستخدمونها في أمور الزواج والطلاق والبيع والشراء أقرب إلى الأشورية منها إلى المصرية .

عامل اكزر كسيس مصر كمديرية من مديريات الإمبراطورية الأخرى ومن ثم منع المال الذي كان يعطيه لمساعدة المعابد المصرية ، وتذكر المصادر القديمة بأنه لم يشهد عهد هذا الملك أي إقامة لمعابد في مصر ، بل جعل مصر في حالة عبودية ومهانة أكثر مما كانت عليه في عهد دارا الأول ، وأخذ الفرس يضيقون الخناق على المصريين بازدياد لدرجة أن الوظائف الصغيرة التي لا أهمية لها قد أصبحت في يد الفرس ولوحظ في هذه الفترة أن التجارة المصرية التي كانت رائجة السوق في عهد دارا الأول قد أخذت في الانحدار والتدهور .

أما عن آثار حكم اكزر كسيس في مصر فكانت قليلة جدا ، وربما أن اكزر كسيس لم يعد إلى مصر ما بين عامي ٤٨٤-٤٦٥ ق.م وهي السنة التي قتل فيها فقد قتله ارتابانوس ، وقد دلت أعماله على أنه لم يكن يسعى لجلب محبة المصريين ، وكل ما يمكن الإشارة إليه من أعمال قام بها النشاط الملحوظ الذي أظهره في قطع الأحجار من وادي حمامات ، وهذه الأحجار كانت تنقل إلى بلاد فارس عن طريق البحر الأحمر لإقامة المباني الهامة في إمبراطورية فارس .

أرتاكزراكسيس ٤٦٥-٤٢٤ ق.م

اغتيل اكزر كسيس في عام ٤٦٥ ق.م وخلفه أبنه أرتاكزراكسيس وعرف بلقب لوفجيمانوس لأن أحد ذراعيه كان أطول من الآخر ، وقد شهد عهده بالكثير من الثورات في شرق الفرات وغربه ، وتولى هذا الملك إحدى وأربعين عاما على حسب ما جاء عند مانيتون ، وهذا الملك هو الابن الأصغر للملك اكزر كسيس .

وفي عام ٤٦٠ ق.م قامت ثورة كبرى في شمال غرب الدلتا ، وكان على رأسها أميران مصريان هما ايناروس في مريوط وأمير تايوس في سايس وقد جعل ايناروس بن بسماتيك من حصن ماريا قاعدة له ، وأنضم الكثير إليه ، وكان الصدام الأول بينه وبين الفرس عند بابريمس وهزم الفرس وانسحبت جيوش الفرس إلى منف وتحصنت بها ومن ثم فقد استطاع ايناروس ان يضع يده على الدلتا كلها وان لم يعلن نفسه ملكا وهناك ما يشير ان الصعيد كان بعيد عن الثورة حيث كانت الفرس في منف تقف حائلا بينه وبين تقديم العون للدلتا ، ومن ثم فقد طلب ايناروس العون من الآثينيين الذين كانوا وقت ذاك قد تفوقوا على الفرس في قبرص وأخيرا فقد كان العون بثمن دفعته مصر من مالها فقد كان المدد الآثينى يتكون من ثلاثمائة سفينة من ذوات الثلاث طبقات من المجاديف ويمكن الاكتفاء بالقول ان المدد كان أسطولا كبيرا .

وبواسطة هذا المدد أمكن الاستيلاء على ثلثي منف ، ولم يقف الملك الفارسي مكتوف اليد أمام هذا كله بل أرسل جيشا ضخما قدره كتاب اليونان بحوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ ألف جندي ، وفي نفس الوقت قدم لإسبرطة عدوة أثينا اللدود كمية ضخمة من الذهب ، الأمر الذي صرف أثينا عن تقديم العون للثوار المصريين .

وفي عام ٤٥٤ ق. ، استطاع القائد الفارسي ميجا بيزوس بعد حصار منف لمدة ١٨ شهرا ان يخترق المتاريس وان يحرق السفن اليونانية ،وان يأسر عددا كبيرا منها بمساعدة رجال البحر الفينيقيين ، وان تهرب قلة من الآثنيين إلى برقة كما أمكن القضاء على عدد من

السفن جاءت للمدد متأخرة ، وقد سقط ايناروس نفسه في أيدي الفرس ثم صلب ، واستلم الراية أمون حر أمير تايوس من بعده ،الذي احتفظ باستقلال الدلتا ، وظل لبضع سنوات زعيما للوحدة الوطنية وقد استدعى بدوره الآثينيين من جديد لمعاونته ، وتحركت ستون سفينة من سفنهم بالفعل ، غير أن موت القائد اليوناني سيمون في قبرص كان سببا في عودتها ،وسرعان ما أعلنت الهدنة بعد معاهدة كالياس في عام ٤٤٩-٤٤٨ ق.م بين فارس وأثينا، وتناست الأخيرة حليفتها مصر ، وبدأت فارس من جانبها تجرب سياسة المسالمة مع المصريين ، فاستدعت قائدها وعينت مكانه مصريين كولاة وحكام على الأقاليم المختلفة ، ثم عين أبني زعيم الثورة في منصبي والديهما بالدلتا ، فتوقفت الثورة وساد الهدوء البلاد فيما عدا غرب الدلتا سلام من نوع غريب ماع فيه الموقف بين فارس والثوار المصريين حينا من الدهر ،وفتحت البلاد أبوابها للأجانب ،بخاصة اليونان واتسعت تجارتهم فضلا عن المعرفة التي كانوا يبحثون عنها في أرض الكنانة مصر ، وقد قام هيرودوت بعد عام ٤٥٠ ق.م بجولة في مصر أشاد بمجدها .

وفي هذه الفترة اغتيل ارتا خشاشا فجأة بيد أخيه وخلفه على عرش فارس دارا الثاني (٤٢٤-٤٠٤ ق.م)،و كان عابدا للنار متعصبا لفرض عقيدته بقوة السيف ، وما كانت مصر لتنسى كل حضارتها ، فكان هذا التباعد العقائدي سببا في أن تكون فترة حكمه أياما سوداء على مصر ، وأخيرا تحرجت الأمور وصبحت الثورة على الأبواب ، وقبل ان يهلك الملك الفارسي قامت في مصر ثورة كبرى بدأت من أسوان ثم سرعان ما امتدت وأخذت شكل حرب مستمرة انتهت بعودة الأمور إلى نصابها وتحرير الكنانة من المغتصب ، وقيام الأسرة الثامنة والعشرين الوطنية .

الأسرة الثامنة والعشرون ٤٠٤-٣٩٩ ق.م

مثلت هذه الأسرة في تاريخ مانيتون بملك واحد حكم ست سنوات ويسمى أمون حر الثاني زعيم الثورة التي بدأت شرارتها الأولى من أسوان وامتدت من عام ٤١٠-٤٠٤ ق.م حيث كتب لها النجاح وتحررت مصر من سيطرة الفرس ، وقد أستعاد أمون حر الثاني ألقب الفراعين منذ عام ٤٠٤ ق.م ، واتخذ من مدينة سايس عاصمة له .

وهكذا اصبح أمون حر زعيم الثورة ملكا على مصر ، ويشير مانيتون إلى انه حكم البلاد ست سنوات فيما بين عامي ٤٠٤-٣٩٩ ق.م ،واما موقف مصر من الأغر يق واليهود فكان كريما فلقد اتسعت تجارة الإغريق بحيث لم تعد نقراطيس أهلا للاحتفاظ بمركزها الاحتكاري ، وفقدت بذلك أهليتها وربما أدى ذلك إلى نوع من النفوذ أثناء عصر الاستقلال ، فضلا عن تعويض اليونان عما خسروه من المنافسة التجارية بسبب قناة البحر الأحمر ، أما اليهود فلقد وسعهم تسامح مصر ورحابة صدرها وتركتهم يعيشون في حامياتهم بعد ان عانوا الأمرين على أيدي كهنة خنوم أثناء الثورة وبعد ان بدلوا ولاءهم من الفرس إلى المصريين ، ومع ذلك فان مصير الحمية اليهودية أثناء الحكم الوطني كان بالكاد سعيدا

هذا وتشير رواية مصرية من العصر المتأخر في بردية ديموطيقية أن أمير تايوس (أمون حر) اعتدى بصورة ما على أحكام القانون ومن ثم لم يسمح لابنه أن يرث الحكم ، وان الاعتقاد بان النجاح في الدنيا والسلوك القويم مرتبطان ببعضهما البعض ، حيث يربط النص بهذه الصورة ان السلوك الذي يتسم بالفضيلة وبين الحياة الناجحة على الأرض ، ومن ثم ان الآلهة قد عاقبت أمير تايوس حين تجاوز نصوص الشريعة بحرمان ولده من عرش الكنانة مصر ، ولم يشفع له عندهم نضاله في سبيل تحرير بلده وان كنا لا ندري بالضبط ماذا عنيت البردية بمخالفة الفرعون الفرعون للشريعة وهل هو اعتداء بصورة ما على حرمات الدين والمعابد ، ام ان الخطيئة كانت اكبر ،وان الفرعون ربما قد اتجه إلى مصانعة الملك الفارسي عدو الأمس ، وبعد ان تخلص من مشاكله الداخلية وفتك بأخيه المنافس له على العرش وبدأ يهدد الإغريق ، وهو اتجاه وان صح كان في نظر أمون حر سياسة لا تضره بعد ان استمتع باستقلاله بينما نظر إليها المتشددون الوطنيون على أنها خيانة استحق من اجلها ان يحرم ولده من عرشه .

وقد انتعشت التجارة في عصر الملك أمون حر الثاني مؤسس الأسرة الثامنة والعشرين ، وكما ترك اليهود يعيشون في حامياتهم بعد أن عانوا على أيدي كهنة كنوم أثناء الثورة وبعد أن بدلوا ولاءهم من الفرس إلى المصريين .

الأسرة التاسعة والعشرون ٣٩٩-٣٨٠ ق.م

كانت الأسرة الجديدة من منديس ، ويبدو ان العرش قد انتقل إليها في هدوء وربما كان مؤسسها نفريتس (تف عاو رود) من زملاء أمون حر في الكفاح ضد الغاصب الفارسي ، وربما كان واحد من أبناء العائلات القوية استطاع ان يغتصب العرش بعد أمون حر ، ذلك لأن هذه الفترة إنما تتميز بتنازع العائلات القوية في الدلتا على العرش ، كانت سياسة مصر منذ تلك المرحلة وحتى غزو الإسكندر المقدوني عام ٣٣٢ ق.م سياسة وطنية تهدف إلى الحفاظ على استقلال مصر والدفاع عن حريتها ، كما تحاول الانتقام لنفسها مما أصابها من الفرس ، ومن هنا كان الصراع الدائم بينها وبين فارس ، واستغل الملك الفارسي أرتا خشاشا (٤٠٤-٣٥٩ ق.م) انتقال العرش من أسرة إلى أخرى حتى جمع جيشا قويا في فينيقيا لإخضاع مصر ، ولكن المشروع فشل بسبب مغامرة كيروش ضد شقيقه أرتا خشاشا ، وبسبب ثورة آسيا الصغرى وجزرها ضد فارس ، فضلا عن انضمام اسبرطة إلى مواطنيها اليونان ، وفي عام ٣٩٦ ق.م بدأت اسبرطة تطمع في زعامة الإغريق تمد يدها إلى مصر تطلب صداقتها والتحالف معها ، ورأت مصر فرصتها في الانتقام من الفرس ، وهكذا استجاب نفريتس الأول (٣٩٩-٣٩٢ ق.م) لدعوة اجسيلاوس ملك اسبرطة ، فأمده بأسطول من مائة سفينة من السفن الثلاثية الطراز وقد حملت بنصف مليون مكيال من الحبوب ، غير أن هذا العون المصري فقد في الطريق عند رودس إذ استولى عليه القائد الأثيني كونون الذي كان يعمل قائدا للأسطول الفارسي ، ولكن مصر كانت في نفس الوقت قد أرسلت قواتها إلى الشام واحتلت بعض المواقع الهامة ، ولكن هزيمة أسطول اسبرطة أمام أثينا فضلا عن دخول الشتاء ، قد دفع اجيسلاوس إلى أن يسحب قواته من الأقاليم السورية ، وبعد ذلك انسحبت القوات

المصرية واكتفى نفريتس بالعناية بشئون مصر ، وعثر على آثار عليها نقش اسم نفريتس في الكرنك وتمي الأمديد وتانيس .

وجاء بعد نفريتس بساموتس وحكم لمدة عام ٣٩٣ ق.م ثم خلفه أخوريس ، وقد أدرك أن الحلف مع اسبرطة عديم الجدوى ، ومن ثم فقد عقد حلفا مع ايفاجوراس ملك سلاميس في قبرص ، وكان صديقا للقائد كونون ، ومن ثم فأن الارتباط يحمل في ثناياه الارتباط المباشر بأثينا ، هذا فضلا عن محالفته للأمراء الليبيين ، وتمت معاهدة صلح بين فارس واسبرطة في عام ٣٨٦ ق.م بعد أن أجهدت الحرب كل من الطرفين ، وبمقتضى هذا الصلح أطلقت فارس يدها في كل المدن اليونانية في آسيا الصغرى مقابل الحكم الذاتي المستقل لكل الولايات الهلينية الأخرى .

هاجم الفرس مصر واستمرت الحرب بينهما لمدة ثلاث سنوات ٣٨٥-٣٨٣ ق.م ، ولكي يثبت أخوريس سيطرته على فلسطين وجنوب فينيقيا فترك نقشا في معبد أشمون شمال صيدا ، ومذبحا في عسقلون من جرانيت أسوان ، وفي هذه الأثناء تحرك ايفا جوراس بقواته إلى معسكر العدو واستولى على صور ، وجزءا كبيرا من فينيقيا ، ولكنه تم حصاره في سلاميس بعد أن هزم في معركة بحرية ، واستسلمت قبرص أمام قوات فارس في عام ٣٨٠ ق.م ، ثم مات أخوريس في نفس العام بعد أن حكم لمدة ثلاثة عشر سنة (٣٩٣-٣٨٠ ق.م) استطاع أن يحفظ الأمن في البلاد ، وأن يترك آثارا كثيرة في كل أنحاء البلاد وبخاصة في مدينة هابو والكرنك ، وتذكر بردية الأخبار الديموطيقية أنه كريما بالنسبة للمعابد ، ويقال أن أفلاطون زار مصر في عهده وظل فترة طويلة في الدلتا ، وجاء بعد أخوريس على العرش نفريتس الثاني (تف عاو رود الثاني) لمدة أربعة شهور ، انتقل العرش بعدها إلى الأسرة الثلاثين .

الأسرة الثلاثون ٣٨٠-٣٤٣ ق.م

مؤسس الأسرة الثلاثين ، واستعان بما قدمه كهان المعابد ، وبتأييد كهنة سايس حيث توج ملكا في معبد نيت ، ومن هنا كان عطاؤه الجزيل لها ، وتسجل لوحة من الأشمونين الإضافات الضخمة لعابد الآلهة نحمت عاواى وتحوت المزدوج العظمة ، كما يوجد نقشا مكتوبا بعناية فائقة عثر عليه في مدينة نقراطيس يخلد فرض ١٠% ضريبة على الواردات إلى هذه المدينة وعلى البضائع التي تصنع بها ، وأن يخصص الإيراد من هذه الضريبة للآلهة نيت في سايس .

في هذه الأثناء كان ارتكزراكسيس الثاني (٤٠٤-٣٥٨ ق.م) يعتبر مصر ما هو إلا إقليم ثائر ، ولذلك لابد من إعادتها إلى الإمبراطورية الفارسية ، ولقد نجح في التأثير على أثينا لكي تستدعي قائدها خبرياس من مصر ، وتقدم له ايفيكراتس أشهر قوادها ليعمل قائدا للمرتزقة اليونان في جيش الفرس ، وتمكن الوالي الفارسي في سورية والذي يدعى فارنا بازوس من تكوين جيش ضخم يقدر بنحو مائتي ألف من جيوش الفرس ، وعشرون ألف من الجنود المرتزقة من اليونانيين ، وثلاثمائة سفينة ذات السفن الثلاثية الطراز ، وتحركت هذه القوات في عام ٣٧٣ ق.م من عكا تحت قيادة فارنا بازوس وايفيكراتس ، ولقد وصلوا إلى بلوزيوم وأدركوا أن الهجوم من هذه المنطقة لا فائدة منه ، وأن واحدا من مصبات النيل الأقل تحصنا قد يؤدي إلى الهدف المطلوب ، واستقر الرأي على ذلك وأمكن كسر الاستحكامات على الفرع المنديسى ، واندفع ايفيكراتس نحو منف ، وعلى الجانب المصري نجح نختنبو الأول من تجميع شمل قواته في منف وأن يحيط بالغزاة المحاصرين من جميع الجهات ، وفقد الجيش

الفارسي الثقل العسكري في هذه التحركات الفاشلة ، وجاء فيضان النيل حليفا مساعدا ، فتحولت الدلتا إلى مستنقعات ، ووجد القائد الفارسي أنه لا يستطيع مقاومة الفيضانات المرتفعة ، واضطر في الانسحاب إلى آسيا أمام هجمات واستبسال المصريين ، وهرب ايفيكراتس ذات ليلة في إحدى السفن الحربية بعد أن قدم رشوة إلى قائدها ووصل إلى أثينا في عام ٣٧٣ ق.م ، ثم سرعان ما عاد الغزاة إلى حيث ما جاءوا ، وقد نسب هذا الانتصار إلى نختنبو الأول ، وأهدى نختنبو الأول هذا النصر لإله سوبد صقر الشرق ، ولهذا فقد شيد نختنبو الأول محرابا جميلا في معبد سوبد وفيه نقوش تقص قصة انتصار الفرعون ، وقد عم البلاد الفرح بهذا النصر .

عم السلام مصر في هذه الفترة ، وازدهرت الفنون ، كما تقدمت التجارة الخارجية ، وبدأ التشييد في المعابد ، وشيدت المباني في فيلة للإله ايزة تلك الصالة العرضية في جنوب الجزيرة ، وأما في طيبة فأقيمت بعض البوابات في معبد الآلهة ماعت ومعبد مونتو في الكرنك ، كما رمم معبد الإله خونسو من الأسرة الثامنة عشرة ، ومعبدا للفرعون تحوتمس الثالث الذي أضاف إليه مقصورة جديدة ، كما أقام معبد صغير بالقرب من معبد موت ، وأضاف طريق كباش على هيئة أبو الهول أمام معبد الأقصر وحتى معبد خونسو بالكرنك ، كما شيد بوابة في الفناء الأول لمعبد مدينة هابو ، وعثر له على تمثال في المدامود ومقصورة في طود ولوحة في قفط ، كذلك عثر له على نقوش في وادي الحمامات ترجع إلى العام الثالث من الحكم ، كما شيد معبد صغير في دندرة ، وبوابة في معبد أمون بالخارجة ، وأقام لوحة في الأشمونين سجل عليها في معبد تحوت أعماله ، وخلد ذكراه في إدفو بما منحه من أرض كثيرة لمعبد حور ،

وأما في الدلتا فقد رمم معبد حور في ليتوبوليس ، وشيد مقصورة في صفط الحنة ومقصورتين للآلهة نيت واحدة في دمنهور والأخرى في سايس ، كما عثر على آثار له في بهبيت الحجارة وتل المسخوطة وهليوبوليس وسمنود ، كما توجد مسلة في تركيا يرجع عصرها إلى نختنبو الأول .

جد حر ٣٦٢-٣٦١ ق.م

جاء بعد نختنبو الأول أبنه جد حر وأطلق البعض وعلى رأسهم أفريكانوس على هذا الفرعون اسم تيوس ، وكما أطلق البعض الآخر اسم تاخوس ، وكان الملك الجديد على غير رأي الإغريق فعاود صلاته بهم وعقد حلفا مع إسبرطة عام ٣٦١ ق.م ، وكان يفكر في غزو الفرس ، ولهذا قام بتكوين جيش ضخم لم يكن له مثيل منذ الدولة الحديثة ، وكان الجيش يتكون من ثمانين ألف من المصريين والليبيين ، وعشرة آلاف من الأثينيين ، كما وصل الملك الإسبرطي اجيسلاوس إلى مصر ومعه ألف جندي محملين بالسلاح ، وكما لحق به الأثيني خبرياس ، هذا فضلا عن وجود ما بين مائتين إلى ثلاثمائة سفينة من السفن الثلاثية ، ولإرضاء الجنود المرتزقة الذين كانوا يطلبون في هذه المرة نقودا ، لذلك اضطر الملك إلى سك عملة فضية من أجلهم ، وقد حث الملك طبقة الكهنة إلى التبرع من ممتلكاتهم الخاصة ، وفرض الضرائب على المحاصيل ، وزيادة الضرائب على الواردات ، كما حد من امتيازات كهنة سايس ، وعمم ضريبة العشر في المائة على الأرباح ومصادر الدخل المختلفة ، وقد نشأت مشكلة في الجيش على من يتولى قيادة العليا للجيش بين خبرياس وأجيسلاوس ، وحلها جد حر بأنه تولى بنفسه القيادة العليا ،

وعهد بقيادة الجنود المرتزقة إلى أجيسلاوس ، وبقيادة الأسطول إلى خبرياس .

خرج جد حر والجيش المصري في عام ٣٦١ ق.م إلى آسيا ، وأحرز انتصارات ساحقة ، فأحتل فينيقيا ، وبدأت مخاوف الفرس تزداد ، وقرر الفرس استعادة أمجاد عصر الإمبراطورية المنتصرة ، وأصبح استعادة الإمبراطورية المصرية في غرب آسيا وشيك التحقيق ، حيث وقع أمر خطير في مصر وهو أن الفرعون قد ترك أخوه نائبا عنه في مصر ، وهذا الأخ أردد أن يستخلص الحكم لنفسه أو لأبنه نخت حر حب ، ولذلك أرسل إليه وهو كان في سوريا على رأس إحدى الفرق العسكرية ، وانتهز الملك أجيسلاوس الفرصة ، فعاد إلى مصر مع الابن ليلقى منه ومن أبيه الجزاء في نظير تأيده لهما ، أما الموقف في سوريا فتسربت أخبار هذا الانشقاق في الأسرة المالكة إلى الجنود فضعفت عزائمهم وفقدوا الثقة في النصر ، وأضف إلى كل هذا استدعت أثينا قائدها خبرياس ، وهكذا ضاع كل شئ ، وانتهت الحملة إلى لا شئ ، ولجأ جد حر إلى صيدا ، ثم إلى عدوه ملك الفرس حيث عاش ومات هناك في المنفى ، وقام أثناء حكمه القصير بترميم معبد خونسو في الكرنك ، كما عثر على اسمه في طرة والجيزة والمطرية وأتريب ، كما ظهرت أول عملة مصرية في عهده .

نخت حر حب

استولى نخت حر حب على عرش الكنانة ، وكانت الثورات قد اشتعلت ضده في كل مكان ، ويبدو أن الذي كان وراء تلك الثورات واحدا

من سلالة الأسرة التاسعة والعشرين ، ثم سرعان ما انتشرت الثورة بين الموالين للفرعون السابق جد حر ، وكادت تقضى هذه الثورة على نخت حر حب لولا مهارة أجيسلاوس لأنتهي أمر هذا الفرعون ، وفي عام ٣٥٨ ق.م كانت فارس تشهد حياة جديدة بولاية ارتكزراكسيس الثالث (أوخوس) فأعيد النظام بين ولايات آسيا الصغرى ، وتم احتلال فينيقيا التي بدأت تسعى للتحالف مع مصر ، وفي عام ٣٥١/٣٥٠ ق.م توجهت حملة من فارس نحو مصر وانتهت بفشل ذريع ، وأقام نخت حر حب لنفسه تمثالا ضخما في عاصمته ، وكتب نقش عليه بأنه حامي مصر وقاهر البلاد الأجنبية وضارب الأقواس التسعة ، وسادت البلاد في حالة سلام استغلها نخت حر حب في إقامة مباني كثيرة في كل أنحاء مختلفة من البلاد تعبيرا عن الشكر المعتاد للآلهة وتخليدا لذكراه ، ثم أخذت الثروات تنهال على المعابد ، وعثر على آثار كثيرة لهذا الفرعون في بهبيت الحجارة وصفط الحنة ، وأقام صالة كبيرة في تل بسطة ، ومقصورة في سمنود وأخرى في منديس ، كما ترك نقوشا في تل المسخوطة وأتريب فضلا عن عدة مسلات في تل البقلية ، ولوحة في السرابيوم وفي المعصرة ، كما شيد معبدا في بلبيس ، وآخر للإله بتاح في منف ، وكذلك شيد معبد في أرمنت ، وخصص مقصورة في معبد إدفو للإله حور .

الأسرة الحادية والثلاثون

خرج الجيش الفارسي في عام ٣٤٣ ق.م تحت قيادة أوخوس ، وكان الجيش يتكون من ثلاثمائة ألف من المشاة ، فضلا عن الفرسان ،

وثلاثمائة سفينة تحت قيادة منتور الذي لجأ إلى الفرس بعد خيانته لمدينة صيدا التي خرج من مصر لإنقاذها .

كان نخت حر حب في نفس الوقت جمع جيشا قوامه مائة ألف منهم ستون ألف من المصريين ، وأربعون ألف من الجنود المرتزقة من الإغريق والليبيين ، وكانت بلوزيوم أول مدينة مصرية تتعرض للهجوم ، وتقدم الجيش الفارسي وهزم الجيش المصري ، وتراجع الفرعون نختنبو الثاني إلى منف ، وسقطت بلوزيوم ثم تلتها تل بسطة ، وفر الفرعون نختنبو الثاني إلى أثيوبيا بعد ما جمع من مقتنيات ، وهناك رأي آخر يقول أنه فر إلى الصعيد حيث كان معترفا به هناك نحو عامين ٤٣٢-٤٣١ ق.م ، وكان معترفا به في إدفو حتى عام ٤٣١ ق.م حيث قدم هناك للإله حور منحة من الأراضي ظل معترفا بها حتى العصر البطلمي .

عادت مصر مرة أخرى للحكم الفارسي ، وبدأ ارتكزراكسيس الثالث (أخوس) بانتقام عنيف لم يعرف من قبل ، واحتل الفرس منازل المصريين ودمروا أسوار معظم المدن الهامة ، ونهبوا المعابد ، وجمع العاهل الفارسي كمية كبيرة من الذهب والفضة ، وأجزل العطاء للجنود المرتزقة من اليونانيين الذين صحبوه بسخاء ثم سرحهم إلى بلادهم ، كما عين فرنداتس واليا على مصر ، ومنتور الخائن واليا على فينيقيا ، وينسب الكتاب المتأخرون إلى أخوس نفس الاتهامات التي نسبت إلى قمبيز ، ثم عاد إلى بابل في أواخر عام ٣٤٣ ق.م ، وهو يحمل معه أثمن المقتنيات ، فضلا عن الزعماء المصريين الذين أخذهم معه إلى المنفى ، وفي عام ٣٣٨ ق.م دس باجواس السم لسيده ارتكزراكسيس الثالث فمات ، ثم خلفه أبنه الأصغر أرسيس الذي قتله باجواس أيضا بعد عامين ، ثم

جلس على عرش فارس الملك دارا الثالث (كودومانوس) الذي قتل باجواس بالسم ، وكان أخر الملوك الأسرة الحادية والثلاثين والتي أضافها المؤرخون المتأخرون على أسرات مانيتون الثلاثين والتي تتكون من ثلاث ملوك هم ارتكزراكسيس الثالث ٣٤٣-٣٣٨ ق.م ، ثم أرسيس ٣٣٨-٣٣٥ ق.م ، وأخيرا دارا الثالث ٣٣٥-٣٣٢ ق.م .

لم تخضع مصر مرة أخرى للفرس ، فقد كان يوجد قلق واضطرابات في الصعيد ، وفي الدلتا قامت ثورة انتهت بتنصيب خباش ملكا على مصر ، وسرعان ما اعترف به كهنة منف ، وشهدت البلاد الثورات طوال الأسرة الحادية والثلاثين ، وفي هذه الأثناء ظهر الإسكندر الأكبر على الساحة الدولية ، واستطاع من تحقيق النصر على الفرس بانتصاره على الملك دارا الثالث في موقعة إيسوس عام ٣٣٣ ق.م ، ثم اتجه الإسكندر الأكبر إلى سوريا ، إلى أن وصل إلى مصر في عام ٣٣٢ ق.م حيث استسلم له الوالي الفارسي دون أي مقاومة تذكر ، ثم أسرع الإسكندر الأكبر جنوبا إلى نحو منف .

يمثل فتح الإسكندر الأكبر لمصر عام ٣٣٢ ق.م نقطة تحول كبرى في تاريخ مصر العام حيث ينتهي تاريخ مصر الفرعونية ويبدأ تاريخ مصر اليونانية الرومانية .

بعد نجاح الإسكندر الأكبر في دخول مصر على حساب الفرس في خريف عام ٣٣٢ ق.م تمكن من تحقيق التواصل السلمي مع المصريين نتيجة لاحترامه لعقائد وعبادات الشعب المصري بالإضافة إلى العلاقات

الودية التي كانت تربط بين مصر واليونان في المراحل السابقة على ظهور الإسكندر الأكبر .

وبدأ الإسكندر الأكبر خطواته في مصر بزيارة معبد الإله أمون في سيوه ، ثم إنشاء مدينة الإسكندرية وتفرغ بعد ذلك لإقرار نظم الحكم والإدارة في مصر الذي تركه لبعض المعاونين الذين كان من أبرزهم كليومنيس النقراطيسي .

تتلخص النظم الإدارية التي أقرها الإسكندر الأكبر في مصر في تقسيم البلاد إلى قسمين رئيسيين أحدهما الوجه البحري والآخر الوجه القبلي وعلى رأس كل قسم إدارة برئاسة موظف مصري .

وأنشأ على الحدود الشرقية والغربية مقاطعتين جديدتين على رأس الأولى كليومنيس وعلى رأس الثانية أبوللونيوس ، وعين الإسكندر الأكبر على رأس الحامية العسكرية اثنان من القادة التابعين له ،، بالإضافة إلى قائد للأسطول وقادة آخرين لبعض الوحدات في ممفيس وبلوزيوم ، وعهد الإسكندر الأكبر بالإشراف المالي إلى كليومنيس مع ترك حكام المقاطعات يديرون المقاطعات بأنفسهم ويلتزمون بتوريد الضرائب المفروضة .

المراجع

المراجع

أولا المراجع الأجنبية

Abu-Baker, Abdel-Moneim, Excavations at Giza , 1949-1950, Cairo , 1953 .
Adam S., Recent Discoveries in the Eastern Delta , In An ASAE., 55 (1958) , pp. 301-324 .
Alder C., New Kingdom Art in Ancient Egypt , London , 1961.
Alder C., Akhnaten , Pharaoh of Egypt , Anew study, London, 1968 .
Alder C., Egyptian Art in the Days of the Pharaohs(3100-320B.C), London, 1985 .
Amer A., Continuity and Change in New Kingdom Egypt, Liverpool, 1983 .
Arkell A. J., A History of the Sudan, London, 1955.
Barguet P., Le Temple d'Amon -Re a Karnak, Cairo, 1962.
Bates O., The Eastern Libans, London, 1914 .
Berard J., Les Hyksos et la legende D'IO, Paris, 1952 .
Baikie J., A History of Egypt , II, London, 1929 .
Bierbrier M.L, The Late New Kingdom in Egypt, Warminster, 1975 .
Bietack M., Avaris and Piramess, London, 1979.
Breasted J.H., Ahistory of Egypt, 1964.
Breasted J.H., Ancient Records of Egypt , Chicago, 1906
Breasted J.H., Ahistory of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest , London, 1927.
Calverley A.M.& Broome M.F., The Temple of King Sethos I at Abydos, 4 Vols., London and Chicago , 1933-58 .
Carter H., The Tomb of Tut Ankh Amen , 3 Vols.,London,1923-33.
Cerny J., Late Ramesside Letters , Brussels , 1939 .

Cerny J., Ancient Egyptian Religion , London, 1952 .
Charistophe l., The Army in Ancient Egypt , Cairo , 1958
Davies T.M.& Maspero G., the Tombs of Haremhabe and Tut ank amoun , 1912 .
De Morgan J., Dahchour II., Vienne , 1903 .
Desroches Noblecourt C., Toutankhamen: Life and death of a Pharaoh, London , 1963 .
Doumas F., La Civilisation de L'Egypte Pharaonique , Paris , 1965 .
Drioton E., & Vaudier j., L'Egypte , paris , 1962 .
Edgerton W. & Wilson J.A., Historical Records of Ramses III , Chicago , 1936 .
Edgerton W.F., The Thutmosid Succession , SAOC , Chicago , 1935 .
Edwards I.E., The Pyramids of Egypt , London , 1965 .
Elgood P.G., Later Dynasties of Egypt , London , 1951 .
Emery W., Egypt in Nubia , London , 1965 .
Evans E., The Palace of Minos at Knossos , 1921 .
Fakhry A., The Amethyst Qurries of Wadi EL-Hudi , Cairo , 1952 .
Frankfort H., Kingship and The Gods , London , 1965 .
Gardiner A., Notes on The Story of Sinuhe , Paris , 1916 .
Gardiner A.H., Ancient Egyptian Onomastica , 3 Vols , Oxford , 1947 .
Gardiner A.H.&Peet T.E.& Cerny J., The Inscriptions of Sinai , 2 parts , London , 1952,1955 .
Gardiner A.H., The Royal Canon of Turin , Oxford , 1959
Gardiner A.H., Egypt of the Pharaohs , Oxford , 1961 .
Gauthier H., Le Livre des rois d 'Egypte , I,II,III, Le Caire , 1907-1913 .
Gauthier H., Le Temple d'Amada , Cairo , 1913 .
Goff B.L., Symbols of Ancient Egypt in The Late Period Twenty first Dynasty , London , 1979 .
Gohary s., Egyptian Society in the New Kingdom , Liverpool , 1978 .

Goyon G., Nouvelles inscriptions Rupestres du Wadi Hammamat , Paris , 1957 .
Giles F. j ., Ikhnaton , London , 1970 .
Hall H. R., The Ancient History of the Near East , London , 1963 .
Hari R ., Horemheb et la Reine Moutnedjemet , ou la fin d'une Dynastie , Geneva , 1965 .
Harris J. E. & Wente E. F., An X-Ray Atlas of the Royal Mummies , Chicago , 1980 .
Hayes W. C., The Scepter of Egypt , I,II, New York , 1953-1959 .
Kees H., Handbuch der Altertumswissenschaften .
Kitchen K.A., The Third Intermediate Period in Egypt , (1100-650 B.C) 2nd ed , Warminster , 1956 .
Lepsius C. R., Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien , Berlin , 1894 .
Marriette , Monuments Divers Recueillis en Egypte et en Nubie , paris , 1889 .
Marriette , Le Serapeum de Memphis , Paris , 1857 .
Maspero G., Guide du Visiteur au Musee du Caire , 1015
Meyer E., Geschichte des Altertums .
Meyer E., Forschungen zur alten Geschichte , III .
Meyer E., Kleine Schriften , I-II .
Moret A., Histoire de L'Orient .
Newberry P. E., Egyptian Antiquities , Scarabs , 1906 .
Otto M. W., Priester und Tempel im hellenitishen Agypten , I-II .
Porter B. & Moss R., Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions , Texts , Reliefs and Paintings , I-VI .
Reisner G. A., The Archaeological Survey of Nubia , Report for 1907 , 1908 .
Rosellini I., Monumenti dell Egitto e della Nubie , 1832-1844 .

Scharff A., Handbuch der Altertumswissenschaften , herausgeg , von W. Otto 6, Abteilung . I . Textband . Handbuch der Archaologie .
Steindorff G., Urkunden des Agyptischen Altertums , hefausgeg Leipzig , Leipzig , 1880 .
Wiedemann A., Agyptische Geschichte , Gotha , 1884 , Supplement hierzu , 1888 .
Wiedemann A., Herodots zweites Buch mit sachlichen Erlauterungen , 1890 .
Wiedemann A., Geschichte Agyptens von Psammetich I . bis auf Alexander .

ثانيا:المراجع العربية

أحمد سليم ، سوزان عباس عبد اللطيف ، دراسات في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور وحتى بداية الدولة الحديثة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٦ .

أحمد فخري ، دراسات في تاريخ الشرق القديم ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

أحمد فخري ، مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧١ .

أحمد قدري ، المؤسسة العسكرية المصرية في عصر الإمبراطورية ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

رشيد الناضوري ، جنوبي غربي آسيا وشمال أفريقيا ، بيروت ، ١٩٦٨

رمضان عبده السيد ، معالم تاريخ مصر القديم ، الإسكندرية ، ١٩٧٩ .

سليم حسن ، مصر القديمة ، (١٣جزءا) ، القاهرة ، ١٩٤٠/١٩٦٠ .

سوزان عباس عبد اللطيف ، دراسة تاريخية للعلاقات بين مصر واليونان ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ .

سيد توفيق ، معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

عبد الحميد زايد ، مصر الخالدة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
عبد المنعم أبو بكر ، كفاحنا ضد الغزاة – العصر الفرعوني ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
عبد المنعم عبد الحليم ، حضارة مصر الفرعونية ، الإسكندرية ، ١٩٧٨
محمد إبراهيم بكر ، تاريخ السودان القديم ، القاهرة ، ١٩٨٣ .
محمد إبراهيم بكر ، صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
محمد أبو المحاسن عصفور ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الإسكندرية ، ١٩٦٨ .
محمد أنور شكري ، العمارة في مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
محمد بيومي مهران ، مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث ، ١٩٩٧ ، الإسكندرية .
محمد جمال الدين مختار وآخرون ، تاريخ الحضارة المصرية –العصر الفرعوني ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
نبيلة محمد عبد الحليم ، مصر القديمة ، الإسكندرية ، ١٩٧٧ .
نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم ، (٦أجزاء) الإسكندرية ، ١٩٦٦/١٩٦٣ .

ثالثا : المراجع المترجمة إلى اللغة العربية

أدولف ارمان ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

أدولف ارمان وهرمان رانكة ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

الكسندر شارف ، تاريخ مصر ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

الن جاردنر ، مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

ايتين دريوتون وجاك فانديه ، مصر ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

جان يويوت ، مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، مراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

جون ويلسون ، الحضارة المصرية ، ترجمة أحمد فخري ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

جيمس بيكي ، الآثار المصرية في وادي النيل ، (٤ أجزاء) ، ترجمة شفيق فريد ولبيب حبشي ، مراجعة محمد جمال الدين مختار ، القاهرة ، ١٩٨٧/١٩٦٧ .

جيمس هنري برستد ، تاريخ مصر ، ترجمة حسن كمال ، القاهرة ، ١٩٢٩ .

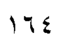
جيمس هنري برستد ، فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

جيمس هنري برستد ، تطور الفكر والدين في مصر القديمة ، ترجمة زكي سوسن ، القاهرة ، ١٩٦١ .

جيمس هنري برستد ، انتصار الحضارة ، ترجمة أحمد فخري ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

سيرج سونيرون ، كهان مصر القديمة ، ترجمة زينب الكردي ، مراجعة أحمد بدوي ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

وولتر امرى ، مصر وبلاد النوبة ، ترجمة تحفة حندوسة ، مراجعة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، ١٩٧٠ .



محتويات الكتاب

المحتويات

المقدمة ٣

الفصل الأول

الأسرة الحادية والعشرون

١٠٨٧-٩٤٥ ق.م ٥

الكهنة العظام ٧

حريحور ٧

بعنخى ٨

بينوزم ١٠

ماساهرتا ١٢

منخبر رع ١٣

بينوزم الثاني ١٥

بسوسنس الثالث ١٦

فراعنة الأسرة الحادية والعشرين ١٧

الفرعون سمنديس ١٧

الفرعون بسوسنس الأول ١٩

الفرعون أمنمأبت ٢٢

الفرعون سيأمون ٢٣

الفرعون حور بسوسنس الثاني ٢٥

الفرعون بسوسنس الثالث باسبخعنوت ٢٦

الفصل الثاني

الحكم الليبي في مصر ٢٧

الأسرة الثانية والعشرون ٢٩

فراعنة الأسرة الثانية والعشرون ٣٠

الفرعون شيشنق الأول ٣١

الفرعون أوسركون الأول ٣٥

الفرعون تلكوت الأول ٣٧

الفرعون أوسركون الثاني ٣٧

الفرعون شيشنق الثاني ٤١

الفرعون حرسا إيس ٤٣

الفرعون تلكوت الثاني ٤٤

الفرعون شيشنق الثالث ٤٦

الفرعون بمأى ٤٨

الفرعون شيشنق الرابع ٤٩

الفصل الثالث

الأسرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين ٥١

الأسرة الثالثة والعشرون ٥٣

الفرعون بدوباست ٥٤

الفرعون ايوبوت الأول ٥٥

الفرعون أوسركون الثالث ٥٦

الفرعون تكلوت الثالث ٥٨

الفرعون رود أمون ٥٩

الأسرة الرابعة والعشرون ٦١

تف نخت ٦٢

باك ان رن اف ٦٣
العلاقة بين العناصر الليبية والمصريين ٦٣
الفصل الرابع
الأسرة الخامسة والعشرون ٦٥
الملك بعنخى ٦٨
حالة البلاد السياسية ٧٤
الملك شبكو ٧٧
الملك شبتكو ٨٠
الملك طهراقا ٨١
الملك تانوت أمانى ٨٣
المعتقدات الدينية في عصر الأسرة الخامسة والعشرين ٨٥
الحالة الاقتصادية والثقافية في عهد الأسرة الخامسة والعشرين ٩٢
علاقة مصر بمملكة أشور ٩٥
الفصل الخامس
عصر النهضة
الأسرة السادسة والعشرون ٦٦٤-٥٢٥ ق.م ١٠٣
الأسرة السادسة والعشرون ١٠٥
أصل الأسرة السادسة والعشرون ١٠٧
ملوك الأسرة السادسة والعشرون ١١٣
الملك بسماتيك الأول ١١٣
بسماتيك يطرد الأشوريين ١١٧
الملك نخاو الثاني ١١٨
الملك بسماتيك الثاني ١٢٢
إبريس واح ايب رع ١٢٣

الملك أحمس الثاني ١٢٦
الملك بسماتيك الثالث ١٢٩
الفصل السادس
الأسرات من السابعة والعشرين إلى الثلاثين ١٣١
الأسرة السابعة والعشرون ١٣٣
الملك قمبيز ١٣٣
الملك دارا الأول ١٣٧
الملك اكزر كسيس ١٤٠
الملك ارتكزراكسيس ١٤١
الأسرة الثامنة والعشرون ١٤٤
الأسرة التاسعة والعشرون ١٤٦
الأسرة الثلاثون ١٤٨
جد حر ١٥٠
نخت حر حب ١٥٢
الأسرة الحادية والثلاثون ١٥٣
المراجع ١٥٦